جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

العمارة الأندلسية القرطبية في رؤى الاستشراق الإسباني "باسيليو بابون مالدونادو" نموذجاً

إعداد

د/ محمد العدل إبراهيم العدل

قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية بالزقازيق
جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. مايو)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

العمارة الأندلسية القرطبية في رؤى الاستشراق الإسباني "باسيليو بابون مالدونادو" نموذجًا

محمد العدل إبراهيم العدل

قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: mohamedeladl.25@azhar.edu.eg

الملخص:

عرفت إسبانيا حركة الاستشراق كغيرها من الدول الأوربية، لاسيما إنها كانت الأرضية التي تشكلت وتبلورت عليها الحضارة الأندلسية، وساهم المستشرقون الإسبان بدور كبير في هذا الميدان تمثل في الترجمة، والنشر، والتحقيق، وشملت دراستهم تاريخ الأندلس وحضارته، وكانت –وما زالت– العمارة الإسلامية في الأندلس موضع إعجاب كثير من المستشرقين الإسبان؛ باعتبارها الآثار المادية القائمة التي تشهد بما أحرزته هذه الحضارة من التفوق على سائر الحضارات الأوربية خلال العصور الوسطى، ويعد باسيليو بابون مالدونادو أحد هؤلاء المستشرقين الإسبان الذين أقبلوا على دراسة الحضارة الإسلامية في الأندلس، وتخصص في مجال الفنون والعمارة، فصنف العديد من المؤلفات في هذا الجانب، وخص قرطبة ومنشآتها المعمارية جانبًا كبيرًا منه، ويهدف البحث إلى إلقاء الضوء على أهمية العمارة الأندلسية، وإبراز مدى اهتمام المستشرقين بطراز العمارة الأندلسية وبخاصة القرطبية، وأيضًا عرض نماذج عن العمارة القرطبية من خلال كتابات المستشرق الإسباني باسيليو بابون مالدونادو، واتبعت في هذه الدراسة عدة مناهج تاريخية، كالمنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، وذلك للوقوف على ما دونه المستشرق باسيلو بابون عن العمارة الأندلسية، ثم مناقشة بعض القضايا التي أثارها المستشرق السابق.

الكلمات المفتاحية: العمارة، قرطبة، الاستشراق، إسبانيا، باسيليو بابون مالدونادو.

Andalusian Cordoba architecture in the visions of Spanish Orientalist Basilio Pabon Maldonado as a model

Muhammad Al-Adl Ibrahim Al-Adl
Department of History and Civilization, Faculty of Arabic Language in Zagazig, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: mohamedeladl.25@azhar.edu.eg

Abstract: Spain knew the Orientalist movement like other European countries, especially since it was the ground on which the Andalusian civilization was formed and crystallized. The Spanish Orientalists contributed a major role in this field, represented in translation, publishing, and investigation, and their study included the history of Andalusia and its civilization, and it was - and still is - Islamic architecture in Andalusia is admired by many Spanish orientalists. As the existing material monuments that attest to the superiority achieved by this civilization over other European civilizations during the Middle Ages, Basilio Babon Maldonado is one of those Spanish orientalists who began to study the Islamic civilization in Andalusia, and specialized in the field of arts and architecture. He wrote many works in this aspect. A large part of it was devoted to Cordoba and its architectural facilities. The research aims to shed light on the importance of Andalusian architecture, highlight the extent of the orientalists' interest in the Andalusian style of architecture, especially Cordoba, and also present examples of Cordoba architecture through the writings of the Spanish orientalist Basilio Pabon Maldonado. Several approaches were followed in this study. Historical approaches, such as the inductive approach, the descriptive approach, and the analytical approach, in order to find out what the orientalist Basilo Pabon wrote about Andalusian architecture, and then discuss some of the issues raised by the previous orientalist.

Keywords: Architecture, Cordoba, Orientalism, Spain, Basilio Pabon Maldonado.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء، وإمام المرسلين

وبعد...

فإن للاستشراق الإسباني خصوصية تميزه عن باقي الحركات الاستشراقية في الغرب الأوروبي، وتتركز هذه الخصوصية في احتكاكه المباشر بالثقافة الشرقية والتراث العربي الإسلامي في بلاد الأندلس، وقد أصبح هذا التراث – على مر الزمن– جزءًا لا يتجزأ من ذاكرة إسبانيا وهويتها الحضارية الممتدة في أعماق التاريخ، فكان اهتمام المستشرقين الإسبان بهذا التراث ضرورة مُلحة دفعهم إليها تعرفهم إلى ذاتهم، وتحديد هويتهم الغربية.

ومن هنا يمكن القول بأن الاستشراق الإسباني كان يرى في دراسته للأندلس اهتمامًا بحقبة من تاريخ بلاده القومي، والتراث الأندلسي إنما هو تراث مشترك بين العالم العربي والحضارة الإسبانية نفسها.

ولا شك أن العمارة كانت –ولازالت– إحدى مقومات الحضارة، وعنصرًا حيويًا في بنائها والتعبير عنها، ولما كانت العمارة مرآة الحضارة التي تعكس واقع حياة المجتمع، وصورته القومية، فإن التراث المعماري كان أهم ما خلفته الأمم؛ حيث استُخدم في تسجيل تاريخ الحضارات، وتاريخ الشعوب التي بنت هذا التراث المعماري، لذا فقد وصف ابن خلدون العمارة بقوله:" طبائع العمران وهو أحسن الوجوه وأوثقها في تمحيص الأخبار، وتمييز صدقها من كذبها..."[(١)].

(١) ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، تح: خليل شحاته، دار الفكر. بيروت (ط٢: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج١، ص٤٨.

وامتازت حضارة العرب في الأندلس بميلها الشديد إلى العناية بالعمارة، فأقاموا المساجد الرائعة، والقصور الفخمة، والمدن الجديدة، وترك المسلمون في شبه الجزيرة الإيبيرية طابعًا فنيًا ومعماريًا غنيًا على كامل التراث الإسباني، وكان لفنون العمارة الأندلسية أعمق الآثار في هذه البلاد، الأمر الذي أثار دهشة المستشرقين الإسبان، فأقبلوا على دراسة هذا التراث المعماري من كافة جوانبه الفنية والزخرفية والإنشائية.

وبهذا فإن فن العمارة الإسلامية في الأندلس احتل مكانة مرموقة في الدراسات الاستشراقية كما أصبح موضع إعجاب كثير من المستشرقين الإسبان، فأثاروا العديد من القضايا حول هذا التراث.

ويُعد باسيليو بابون مالدونادو أحد أولئك المستشرقين الإسبان الذين نظروا للتراث المعماري الأندلسي نظرة إعجاب، فحرص على دراسته، وإظهار مدى رقي الحضارة الإسلامية في الأندلس في مجال العمارة، فوضع العديد من المؤلفات التي تناولت كافة أوجه النشاط المعماري للمسلمين في الأندلس؛ ولذا فقد حرصت على اظهار هذا الجانب تخليدًا لذكرى الوجود الإسلامي في الأندلس من ناحية، وإظهارًا للتقدم المعماري للحضارة الإسلامية في شبة الجزيرة الإيبيرية من ناحية أخرى، وكذا تسليط الضوء على أهم ما كُتب عنها في الدراسات الاستشراقية، من خلال مؤلفات المستشرق الإسباني باسيليو بابون، واختصت الدراسة بالعمارة الأندلسية في مدينة قرطبة؛ حيث كانت عاصمة الإمارة ثم الخلافة الأموية في الأندلس، ومن هنا جاء البحث بعنوان:" **العمارة الأندلسية القرطبية في رؤى الاستشراق الإسباني باسيليو بابون مالدونادو نموذجًا**".

واتبعت في هذه الدراسة عدة مناهج تاريخية، كالمنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي، وذلك للوقوف على ما دونه المستشرق باسيلو بابون عن العمارة الأندلسية، ثم مناقشة بعض القضايا التي أثارها المستشرق السابق.

❖ **أهداف البحث:**

أولًا: القاء الضوء على أهمية العمارة الأندلسية.

ثانيًا: ابراز مدى اهتمام المستشرقين بطراز العمارة الأندلسية وبخاصة القرطبية.

ثالثًا: عرض لنماذج عن العمارة القرطبية من خلال كتابات المستشرق الإسباني باسيليو بابون مالدونادو.

❖ **خطة البحث: قسم البحث إلى تمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة.**

- **التمهيد: الاستشراق الإسباني والعمارة الأندلسية.**
- **المبحث الأول: المستشرق باسيليو بابون مالدونادو (Basilio Pavon Maldonado)، وإسهاماته في حقل الدراسات الأندلسية، ومرجعيته عن العمارة الأندلسية.**
- **المبحث الثاني: قصر قرطبة.**
- **المبحث الثالث: المسجد الجامع بقرطبة.**
- **المحث الرابع: مدينة الزهراء.**
- **المبحث الخامس: جسر (قنطرة) قرطبة.**
- **الخاتمة: تضمنت أهم نتائج البحث.**

تمهيد: الاستشراق الإسباني والعمارة الأندلسية:

انفرد الاستشراق الإسباني عن نظيره الأوربي بميزة خاصة، وهى أن المستشرقين الإسبان لم يكونوا في تخصصهم يدرسون تراث شرق بعيد عنهم مختلف عن شخصيتهم وهويتهم، وإنما كانوا يدرسون تراثهم، وتاريخ بلادهم لفترة امتدت إلى ثمانية قرون، وبذلك فإن تناولهم لهذا التراث بالدراسة والتنقيب كان إلى الحقيقة أقرب؛ حيث إن دراستهم لم تكن قائمة على الفرض والتخمين بقدر ما كانت قائمة على الآثار الباقية في بلادهم، والمخطوطات المحفوظة في مكتباتهم(١).

فلقد شهد الاستشراق الإسباني بدايته الأولى بوصفه حقلًا معرفيًا مخصوصًا، ومن حيث كونه محض تصور الذات الغربية لغيرتها الشرقية، وتم ذلك عبر ما عرفته فيها الثقافتان الإسلامية العربية والنصرانية اللاتينية من احتدام، وصراع، وتعايش، وتثاقف، وقد اضطرت كل واحدة من هاتين الثقافتين إلى بناء ذاتها، وتأسيس هويتها بالنظر إلى الثقافة الأخرى(٢).

---

(١) جمعة شيخة: الاستشراق الإسباني: ماله وما عليه، مجلة التنوير، ع ٨، المعهد الأعلى لأصول الدين، جامع الزيتونة، تونس ٢٠٠٦م، ص٢٤١، مصطفى الكيلاني: الاستشراق الإسباني والاستشراق الغربي، جامعة البحرين، مجلة كلية الآداب، ع١٤، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص١٩٢.

(٢) فريد محمد أمعضشو: الاستشراق الإسباني والتراث العربي الإسلامي بالأندلس، ميغيل آسين بلاثيوس نموذجًا، مجلة نوافذ، ع٥١،٥٢، جدة– المملكة العربية السعودية ٢٠١٢م، ص١٢٣، محمد عبدالواحد العسري: أصول الصورة المشوهة لمحمد (صلى الله عليه سلم) في الغرب الأوروبي ومكوناتها: قراءة في تاريخ الاستشراق الإسباني ونماذجه وامتداداته، مجلة الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها، ع٥، الرياض ٢٠١٠م، ص٢٧٩٧. محمود علي مكي: الاستشراق الإسباني، مجلة مجمع اللغة العربية، ع٨٢، القاهرة المحرم– مايو ١٩٩٨م، ص٢٣،٢٤.

- وخلال الفترة الأخيرة بدت الأندلس من خلال الاستشراق الإسباني في صورتين:

الصورة الأولى: وهي التي أعقبت سقوط غرناطة في نهاية القرن ٩هـ/١٥م، حيث شهدت إسبانيا تعصبًا ربما لم تعرف مثله في عصر من عصورها، وعملت السلطات الحاكمة على محو كل أثر لحضارة العرب والإسلام، وتجاهل التاريخ الأندلسي، ناهيك عن السعي إلى طمس معالمه، وما نالته المخطوطات العربية من تدمير هائل(١).

يقول المستشرق خوان غويتسولو(٢): منذ الغزو العربي والحياة الإسبانية تخضع لمقابلة المسيحي/ الموري، فكل ما ليس لنا هو مسلم وأجنبي في آن واحد أو – على حد قوله– يمثل قومية الآخر المتطفل ودينه، وكل ما لنا هو مسيحي وإسباني في الوقت نفسه، كما أشار إلى أنه وحتى يومنا هذا ما يزال بعض الأدباء في الأرياف الإسبانية يسمون كل صغير لم يُعمد بعد بالموري(٣).

الصورة الثانية: برزت الأندلس من خلال الاستشراق الإسباني في صورته الحقيقية، فهي وإن لم تتنكر إلى أصولها الرومانية القوطية، إلا أنها ركزت على

(١) جمعة شيخة: الاستشراق الإسباني، ص٢٤٢ وما بعدها، أبو همام عبداللطيف عبدالحليم: الاستشراق الإسباني ونجيب محفوظ، مجلة عالم الكتاب، ع٢٥، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مارس١٩٩٠م، ص٢٣.

(٢) المستشرق الإسباني خوان غويتيسولو غاي: (Juan Goytisolo Gay) (١٩٣١ – ٢٠١٧م)، وُلد بمدينة برشلونة، صحفي، ومفكر، تتناول كتاباته الآثار العميقة للغة، والثقافة العربية في المجتمع الإسباني، من أهم مؤلفاته:" إسبانيا في مواجهة التاريخ". ويكيبيدا، الموسوعة الحرة، تاريخ الولوج، ٢٠٢٤/٥/٢م.

(٣) في الاستشراق الإسباني، ترجمة: كاظم جهاد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان (د.ت)، ص١٥.

إيجابيات الفترة العربية بما فيها من ثقافة مزدهرة وحضارة متألقة، وبالتالي فإن الفترة العربية الإسلامية – من وجهة نظر العديد من المستشرقين الإسبان– لم تخدم التطور الحضاري في إسبانيا فقط، وإنما كانت سببًا رئيسًا في نهضة أوربا(١).

أما عن اتجاهات المستشرقين الإسبان فالأمر لا يختلف كثيرًا عن الاستشراق العام، ففي الوقت الذي كان يقف فيه الإسبان حائرين بين الاعتراف بالأثر الكبير الذي خلفته الحضارة الإسلامية على بلادهم، وبين الانتماء لأوروبا الرافضة لما يمت للإسلام بصلة في إسبانيا(٢)، ذهبت المدرسة الاستشراقية الإسبانية في احدى اتجاهاتها إلى العصبية المطلقة حيال المسلمين والعرب في الأندلس، معتبرين أن الحقبة الإسلامية في الأندلس كانت احتلالًا لأرضهم، وأن الوجود الإسلامي هناك عَمِل على إنهاء قوميتهم الإسبانية، بينما آمن الاتجاه الآخر بالحضارة الإسلامية وانتاجها الفكري والثقافي في الأندلس، فاحترم هذه الحضارة وما أنتجته، وأقبل على دراسة تراثها في كافة مجالاته(٣)، وأصبح

(١) شيخة: الاستشراق، ص٢٣.

(٢) محمد يحي خراط: الاستشراق الإسباني، مجلة المعرفة، ع٥٦١، تصدر عن وزارة الثقافة السورية، حزيران (يونيو) ٢٠١٠م، ص٦٨.

(٣) من رواد الاتجاه الأول: إيزدور الباجي (Isdoro Pacence)– عاش أوائل القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، خوسيه أنطونيو كوندي (Jose Antonio conde) (١٧٦٥–١٨٢٠م)، ومن رواد الاتجاه الحيادي: فرانسيسكو كوديرا (Francisco Codera) (١٨٣٦–١٩١٧م)، قاسم عبد سعدون الحسيني: الأندلس في رؤى الاستشراق الإسباني المستشرق فرانسيسكو خافيير سيمونيت أنموذجًا، مجلة كلية الآداب، ع٣٤، ق٢، جامعة ذي قار، العراق ٢٠٢١م، ص٣١٦، يحيى مراد: من قضايا الاستشراق، مطبعة فكر معاصر، المتجر الإلكتروني، (د.ت)، ص٧١٠.

الحديث عن الأندلس – في المخاطبات الرسمية– يعبر عن الحضارة الإسبانية العربية(١).

ولذا فإن الإسبان قد اهتموا بالثقافة العربية الإسلامية، فأنشأوا – بغض النظر عن الأسباب والدوافع– كراسيّ اللغات الشرقية في جامعاتهم، كما أنشأوا المكتبات التي تضم المخطوطات العربية، ومطابع لطباعة الكتب العربية، والمخطوطات المحققة التي دُرست من قبل مستشرقين إسبان(٢).

أخذ فن العمارة في الأندلس يتلمس طريقه نحو الظهور مع بداية الإمارة الأموية؛ لأن العرب شملوا رجال الفن من أهل الأندلس برعايتهم، واصطنعوهم لخدمتهم وشجعوهم على مواصلة إنتاجهم الفني، ولهذا واصل المعماريون، والفنانون، والصناع، والحرفيون تقاليدهم الفنية بعد أن كيفوها وفقًا لما يقتضيه الوضع الجديد، ثم لم يلبث هؤلاء أن اندمجوا في المجتمع الإسلامي، فأقبلوا على الثقافة العربية، وشاركوا بنصيب كبير في الحياة الاجتماعية والفكرية، وتحققت بذلك النقلة في عصر الخلافة الأموية، وأمكن صياغة فن إسلامي أخذ يتدرج في التطور في العصور التالية(٣).

---

(١) خوان كارلوس (ملك إسبانيا في الفترة ١٩٧٥: ٢٠١٤): خطاب جلالة ملك إسبانيا في الحفل التأسيسي: الأندلس: مدينة الزهراء في ١٩٩٢/١١/٤م، ترجمة: جمعة شيخة، مجلة دراسات أندلسية، ع٩، تونس ١٩٩٣م، ص٣.

(٢) من هذه الجامعات: جامعة شلمنقة أو سلمنكة، تأسست عام ١٢٢٧م، جامعة إشبيلية ١٢٥٤م، جامعة بالما ١٢٨٠م، جامعة ليريدا ١٣٠٠م، جامعة برشلونة ١٤٥٠م، جامعة سرقسطة ١٤٧٤م، جامعة بلنسية ١٤٧٤م، جامعة مدريد ١٥٠٨م، جامعة غرناطة ١٥٤٩م. وفي عام ١٩٥٤م تأسس في مدريد المعهد الإسباني العربي للثقافة، وأنشئ له مراكز في العديد من البلدان العربية، ومن أهم المكتبات الشرقية: مكتبة الأسكوريال ١٥٥٧م، مكتبة مدريد الوطنية ١٧١٦م. خراط: الاستشراق الإسباني، ص٧٣– ٧٥.

(٣) السيد عبد العزيز سالم: العمارة الإسلامية في الأندلس، مجلة عالم الفكر، م٨، ع١، تصدر عن وزارة الإعلام– الكويت، إبريل– مايو– يونيو ١٩٧٧م، ص٨٩،٩٠.

وما زالت إسبانيا تحتفظ في الوقت الحاضر بالتقاليد الإسلامية في جميع مظاهر الحياة العمرانية، ولم يستطع ملوك إسبانيا المسيحية محو ذلك الطابع الإسلامي الذي تحمله مدنها، كل ذلك بفضل الصبغة الإسلامية التي تأصلت طوال ثمانية قرون في كيان إسبانيا الاجتماعي والفكري والاقتصادي، وبفضل الروائع المعمارية التي خلفها مسلمو الأندلس(١).

وتُعد العمارة الإسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية إحدى أهم الحقول التي حظيت باهتمام كبير لدى المدرسة الاستشراقية الإسبانية، ولا شك أن السبب في ذلك يعود إلى ازدهار العمارة الإسلامية في الأندلس ازدهارًا كبيرًا، من حيث التخطيط المعماري لأنواع العمائر المختلفة سواء كانت دينية أم مدنية أم حربية، فضلًا عن العناصر المعمارية والزخرفية التي بلغت شأوًا بعيدًا في الدقة والإتقان إضافة إلى قيمتها الفنية والجمالية(٢).

هذا، ويعد الطراز الأندلسي أحد الطرز الفرعية أو المحلية التي انبثقت عن الطراز الإسلامي العام، وقد نشأ هذا الطراز على أرض الأندلس، وتطور بها، وتميز بسمات خاصة مستقلة، ولكن دون أن يفقد صلته بالطراز الإسلامي العام الذي هو فرع منه أو بغيره من الطرز الأخرى المعاصرة له في الشرق والغرب، والتي أثرت فيه أو أثر هو فيها، وبخاصة الطراز المغربي(٣).

(١) سالم: المساجد والقصور في الأندلس، نشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٦م، ص٦.

(٢) محمد حمزة الحداد: بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية (الكتاب الأول)، دار نهضة الشرق، القاهرة، (ط١: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص١٦٣.

(٣) الحداد: العمارة الإسلامية، ص١٦٣.

ولهذا فقد حرص العلماء الإسبان المتخصصون على دراسة نشأة هذا الطراز، ومراحل تطوره المختلفة، وتحليل أصوله، وإبراز سماته وخصائصه، وأثره في العمارة والفنون الإسبانية.

المبحث الأول: المستشرق باسيليو بابون مالدونادو (Basilio Pavon Maldonado)، واسهاماته في حقل الدراسات الأندلسية، ومرجعيته عن العمارة الأندلس:

يعد مالدونادو واحدًا من كبار العلماء في إسبانيا الذين عكفوا على دراسة التراث الأندلسي، وقد ساهم –ولا يزال– في دراسة الكثير من نواحي الفنون والعمارة الأندلسية، حتى صار ذا قدم راسخة في هذا التخصص.

وهو أستاذ جامعي، ولد عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) بإسبانيا، تخصص في علم الآثار والحضارة الإسلامية في كل من شبه جزيرة أيبيريا، والشمال الإفريقي، وهو عضو في المجلس الأعلى للأبحاث العلمية في إسبانيا، شارك في العديد من المؤتمرات الدولية، وكان ضمن أعضاء فريق تحرير مجلة "القنطرة" الإسبانية التي خلفت مجلة الأندلس، والتي كانت تهتم بالدراسات العربية والإسلامية في الأندلس على مر العصور.

تتلمذ مالدونادو في مجال علم الآثار الأندلسية على يدي علماء الجيل الأول[١] من المستشرقين الإسبان، ومن أشهر أساتذته: ليوبولد توريس بلباس (Leopoldo Torres Balbás) (١٨٨٨-١٩٦٠م)، والمؤرخ الإسباني مانويل جومث مورينو[٢]، وبالتالي فهو يعد حلقة وصل بين الرعيل الأول – إن صح التعبير– وبين الجيل الجديد من شباب الباحثين الإسبان[٣].

اهتم مالدونادو بدراسة التراث الإسلامي في إسبانيا، واظهار الموروث الحضاري العربي الإسلامي، الذي كان حلقة الوصل بين أوربا والمشرق.

---

(١) قام علماء الجيل الأول من المستشرقين الإسبان بتوسيع مجال ونطاق الدراسات الاستشراقية، وبحثوا في علاقات الثقافة الإسبانية المسيحية الغربية بالحضارة الإسلامية الشرقية، وتتركز الدراسات حول الأندلس باعتباره أرضًا للقاء الحضارتين. ويشير إلياس خوري إلى أنه يوجد ثلاثة أجيال من المستشرقين الإسبان: الجيل الأول: ويتزعمه ثلاثة مستشرقين: غونثالث بالنثيا (١٨٥٨-١٩٣٤م)، وجوليان ريبيرا (١٨٥٨-١٩٣٥م)، وآسين بلاثيوس (١٨٧١-١٩٤٤م)، ومن رواد الجيل الثاني: غارثيا غومث (١٩٠٥-١٩٩٥م)، وهو وريث الجيل الأول، ويأتي على رأس علماء الجيل الثالث: المستشرق المعاصر بدرو مارتينز مونتابث (١٩٣٣-٢٠٢٣م)، الذي فتح مجال الدراسات المعاصرة، وأقام اتصالًا بين المجالين القديم والحديث، كما أن هناك مجموعة أخرى من الدارسين، منهم: مارثيليو بيفراس، وماريا خيوس بيفيرا، وكارمن رويث، وبرناجبيه لوبيث غارثيا، وسيرافين فاغول، وغيرهم. إلياس خوري: الاستشراق الإسباني: رسالة مدريد، مجلة شؤون فلسطينية، ع٧١، أكتوبر ١٩٧٧م، ص١٩١،١٩٢.

(٢) مانويل جوميث مورينو مارتينث (Manuel Gómez-Moreno): عالم آثار، ومؤرخ إسباني، وُلد في مدينة غرناطة عام ١٨٧٠م، وتوفي في مدريد في ٧ يونيو عام ١٩٧٠م. ويكيبيديا: الموسوعة الحرة، تاريخ الولوج: ٢٠٢٤/١/١٥م.

(٣) ينظر، مالدونادو: الفن الإسلامي في الأندلس– الزخرفة النباتية–، ترجمة د. على إبراهيم منوفي، تقديم د. محمد حمزة إسماعيل، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٦،٧.

ومن أهم اسهاماته:

١- الفن الإسلامي في الأندلس "الزخرفة النباتية"، "الزخرفة الهندسية"[١].

٢- الفن الطليطلي: الإسلامي والمدجن[٢].

٣- العمارة الإسلامية في الأندلس[٣].

---

(١) يتناول هذا الكتاب دراسة تحليلية لأحد أهم مجالات الفن في الطراز الأندلسي، وهو مجال الزخرفة النباتية، والهندسية، وقد ألقى المؤلف الضوء على نشأة الزخارف النباتية، والهندسية، ثم مراحل تطورها بدءًا من عصر الخلافة الأموية في قرطبة، وانتهاءً بالفن المدجن. ترجمة: د. علي إبراهيم منوفي، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (ط١: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

(٢) يتناول هذا الكتاب دراسة الفن الإسلامي، والفن المدجن في مدينة طليطلة؛ -إحدى حواضر المسلمين الكبيرة في الأندلس، وعاصمة إسبانيا قبل الفتح الإسلامي- ومن أهم فصول الدراسة: "النقوش الكتابية العربية في طليطلة"، "والزخرفة الأثرية الإسلامية"، و"الزخرفة الأثرية المدجنة ذات الأصول الإسلامية"، و"الزخرفة التصويرية الأصول، والمدجنة". ترجمة: د. علي إبراهيم منوفي، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (ط١: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

(٣) يقع هذا الكتاب في ثلاثة مجلدات: الأول بعنوان "عمارة القصور"، اقتصر فيه المؤلف على العمائر الإسلامية في الأندلس خلال القرن العاشر، والحادي عشر الميلاديين (عصر الخلافة، وعصر ملوك الطوائف)، ففي القرن العاشر تناول المؤلف: مدينة قرطبة، ومدينة الزهراء، وفي القرن الحادي عشر تناول المؤلف: " قصر الجعفرية بسرقسطة"، ومدن: ألمرية، ومالقة، وغرناطة، وإشبيلية، ولورقة، ودانية. والمجدل الثاني: بعنوان:" عمارة المدن والحصون" وجاءت الدارسة في ثلاثة فصول على النحو التالي: الأول: البوابات. والثاني: الأقبية. والثالث: مواد البناء وطرائقه. أما المجلد الثالث، فجاء تحت عنوان:" العمارة النصرية والمدجنة"، وشملت محتوياته: مدينة غرناطة قبل العصر الناصري، " القصور الناصرية في الحمراء وجنة العريف، المنازل الغرناطية ق ١٤، ١٥". ترجمة: د. منوفي، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٣ مجلدات، المجلدان الأول، والثالث(ط١: ١٧٢٧هـ/٢٠١٠م)، المجلد الثاني (ط١: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م)

٤- العمارة الأندلسية " عمارة المياه "[١].

٥- عمارة المساجد في الأندلس: مدخل عام[٢].

٦- عمارة المساجد في الأندلس قرطبة ومساجدها[٣].

---

(١) يشتمل هذا الكتاب على مدخل، وسبعة فصول على النحو التالي: "الفصل الأول: الأجباب. والثاني: الجسور. والثالث: القنوات، السقاية والسواقي، ومجاري العيون (القناطر). والرابع: الحدائق، أحواض النوافير، وصرف مياه المدن والحصون. والخامس: الاسطوانات الهيدروليكية (النواعير أو الدواليب)، والسادس: الحمامات. أما الفصل السابع فقد خصصه لدراسة القورجات. ترجمة: د. منوفي، نشر زهراء الشرق، القاهرة، (ط١: ١٤٣٠هـ/٢٠٠٨م).

(٢) يعد هذا الكتاب مدخلًا لعمارة المساجد الأندلسية منذ نشأتها، وما طرأ عليها من تطور خلال المراحل التاريخية المختلفة، وقد حرص المؤلف على اظهار أهم السمات التي تميز عمارة المساجد الجامعة في الأندلس، ومدى ارتباطها بالمساجد في الشمال الإفريقي كالمسجد الجامع في القيروان، كذلك سلط المؤلف الضوء على الاستخدام المزدوج للمبنى الواحد كدار للعبادة الإسلامية والمسيحية خلال الفترة الأولى من حكم المسلمين للأندلس. ترجمة: د. منوفي، نشر هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، (ط١: ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

(٣) يتناول المؤلف في هذا الكتاب عمارة المسجد الجامع في قرطبة وكذلك مسجد مدينة الزهراء، وبالنسبة للمسجد الأول شملت الدراسة الحديث عن المرحلة التأسيسية في عصر الأمير عبدالرحمن بن معاوية (الداخل)، ثم التوسعات التي أُلحقت بالمسجد خلال عصور الإمارة، والخلافة الأموية في الأندلس، ثم كان آخرها ما تم في عهد الحاجب المنصور بن أبي عامر، ومن أهم محتويات الكتاب: "المسجد الذي أسسه عبدالرحمن الداخل، توسيعات المسجد في عصر عبدالرحمن الثالث، والحكم الثاني، والمنصور بن أبي عامر، النقاش حول عدد الأروقة في المسجدين الأميرين، المسجد الجامع بمدينة الزهراء، ملحق: العمارة الدينية المدجَّنة في قرطبة". ترجمة: د. منوفي، نشر هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، (ط١: ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

٧- عمارة المساجد في الأندلس: طليطلة وإشبيلية[١].

٨- عمارة المساجد في الأندلس: غرناطة وباقي شبه الجزيرة الأيبيرية[٢].

كذلك شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات، ومن أهمها: المؤتمر الدولي الثالث للفن المدجن، عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)[٣].

المرجعية التاريخية للمستشرق مالدونادو:

اعتمد مالدونادو على العديد من المصادر العربية، وغير العربية في سبيل انجاز دراسته عن العمارة القرطبية، ومن موارده التي ذكرها:

- كتاب:" تاريخ افتتاح الأندلس"، تأليف ابن القوطية: أبوبكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت:٣٦٧هـ/٩٧٧م).
- كتاب:" صورة الأرض"، تأليف ابن حوقل: محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم (ت بعد ٣٦٧هـ/٩٧٧م).
- كتاب:" أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم "، تأليف المقدسي: محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت:٣٨٠هـ/٩٩٠م).

---

(١) يتناول هذا الكتاب عمارة المساجد في كل مدينة طليطلة كمسجد سلبادور، ومسجد الباب المردوم، ثم النقوش الكتابية العربية في دور العبادة المدجنة، كما يتناول مساجد مدينة إشبيلية كالمسجد الجامع الموحدي من خلال رواية ابن صاحب الصلاة. ترجمة: د. منوفي، نشر هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، (ط١: ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

(٢) يتناول المؤلف في هذا الكتاب عمارة المساجد في مدينة غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس، على أن الكتاب ضم بين دفتيه ذكر مساجد أخرى تقع في مدن: سرقسطة، وتطيلة، وألمرية، وملقة، وغرناطة، ولبله، ومسجد بطليوس، ومرسيه. ترجمة: د. منوفي، نشر هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، (ط١: ١٤٣٢هـ/٢٠١١م).

(٣) ينظر، مالدونادو: الفن الإسلامي في الأندلس- الزخرفة النباتية-، ترجمة د. منوفي، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٦،٧.

- كتاب:" المقتبس من أنباء الأندلس"، تأليف ابن حيان: حيان بن خلف بن حسين (ت:٤٦٩هـ/١٠٧٦م).
- كتاب:" ترصيع الأخبار وتنويع الأثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك"، تأليف أبي العباس أحمد بن عمر العذري ابن الدلائي (ت: ٤٧٨هـ/١٠٨٥م).
- كتاب:" المسالك والممالك"، تأليف البكري: أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م).
- كتاب:" نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، تأليف الإدريسي: محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس (ت:٥٦٠هـ/١١٦٤م).
- كتاب:" المن بالإمامة تاريخ المغرب والأندلس في عهد الموحدين"، تأليف عبد الملك بن صاحب الصلاة (ت: ٥٩٤هـ/١١٩٨م).
- كتاب"" البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"، تأليف ابن عذارى: أبي عبد الله محمد بن محمد المراكشي(ت:٦٩٥هـ/١٢٩٥م).
- كتاب:" نهاية الأرب في فنون الأدب"، تأليف النويري: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم (ت: ٧٣٣هـ/١٣٣٢م).
- كتاب:" أعمال الأعلام"، تأليف ابن الخطيب: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، لسان الدين (ت:٧٧٦هـ/١٣٧٤م).
- كتاب:" مقدمة ابن خلدون"، تأليف ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت:٨٠٨هـ/١٤٠٥م).
- كتاب:" اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الأثار"، تأليف الأنصارى السبتى: محمد بن القاسم الأنصارى السبتى (انتهى من تأليف كتابه سنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م).
- كتاب:" الروض المعطار في خبر الأقطار"، تأليف الحميري: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميري (ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٤م).

- كتاب:" نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، تأليف المقري: شهاب الدين أحمد ابن محمد المقري التلمساني (ت: ١٠٤١هـ/١٦٣١م).
- كتاب:" أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم"، لمؤلف مجهول.
- كتاب:" تاريخ الإسلام في الأندلس"، تأليف المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال.
- كتاب:" تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية"، تأليف المستشرق الإسباني ليوبولد تورتيس بلباس.
- كتاب:" الفن المرابطي والموحدي"، تأليف المستشرق السابق.
- كتاب:" الفن الإسلامي في إسبانيا"، تأليف المستشرق الإسباني مانويل جوزيف مورينو.

المبحث الثاني: قصر قرطبة:

تُعد قرطبة من أهم المدن التي شهدت تألقًا حضاريًا عظيمًا، إذ كانت من بين العواصم الإسلامية الكبرى التي أثرت تأثيرًا عميقًا في التاريخ السياسي والحضاري للإسلام في المشرق والمغرب خلال العصور الوسطى.

وهي تقع على سفح جبل قرطبة الجنوبي(١)، ويبلغ ارتفاعها فوق مستوى سطح البحر ما بين ١٠٠ إلى ١٢٣ مترًا، على منحنى الضفة الشمالية لنهر الوادي الكبير(١).

(١) المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: ١٠٤١هـ/١٦٣١م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر– بيروت – لبنان (١٣١٨هـ/١٩٠٠م)، ج٢، ص١٠٠. يعرف هذا الجبل عند مؤرخي الغرب الإسلامي بجبل العروس، وهو احدى سلاسل جبال سيرامورينا (وبالعربية: جبل الشارات، أو الجبال السوداء) وكان يمتد شمالي قرطبة، حيث توجد المراعي الخضراء، ويزرع الكروم والزيتون. =

وتعد قرطبة من أكثر المناطق الزراعية إنتاجًا في شبة الجزيرة الأيبيرية، واختصت بزراعة الزيتون، حيث تغطي زراعته مساحة تصل إلى ٢٣٦ كم٢، وتقوم عليه العديد من الصناعات، أهمها صناعة استخراج الزيتون، وصناعة الصابون(٢).

دخلت الجيوش الإسلامية قرطبة عام (٩٢هـ/٧١١م) وظلت المدينة زهاء ثلاثة قرون قاعدة الدولة الإسلامية بالأندلس، ومركز الفتوح والغزوات في شبه الجزيرة الأيبيرية، ومقر الحركة الدينية واللغوية والعقلية، ولبثت حتى بعد سقوط الخلافة، وفي ظل ملوك الطوائف، ثم المرابطين والموحدين قاعدة رئيسية من قواعد الإسلام في إسبانيا، وكان لسقوطها في أيدي القشتاليين في سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٦م) أعظم وقع تاريخ في الأندلس، وفي بلاد ما وراء البحر، وقد غادرها أكثر سكانها المسلمين؛ فرارًا إلى القواعد الإسلامية الأخرى، ومن بقي

=

الإدريسي: محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس(ت:٥٦٠هـ/١١٦٤م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت– لبنان (ط١: ١٤٠٩هـ/١٨٩٩م)، ج٢، ص٥٧٥، الحميري: محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت:٩٠٠هـ)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، تصحيح وتعليق: ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت – لبنان (ط٢: ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م)، ص١٥٣.

(١) محمد عبدالله عنان: الأثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجي، القاهرة (ط٢: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص١٨. نهر الوادي الكبير: كان يسمى قبل الفتح بنهر بيطي، وينبع من جبل شقورة، ثم يتفرع فرعين: أحدهما يسمى النهر الأبيض يتجه شرقًا ويمر بمدينة مرسيه، والفرع الأخر يتجه غربًا ويمر بإستجة، وقرطبة، وإشبيلية، ويصب في المحيط الأطلسي. الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٦١.

(٢) السيد سالم: قرطبة، ج١، ص١٥،١٦.

منهم تدجنّوا Mudejares (وهم المسلمون الذين كانوا يعيشون تحت حكم الإسبان)[١].

واليوم تبدو عاصمة الخلافة الأندلسية القديمة، مدينة أوروبية بكل معاني الكلمة، غير أنها فقدت أهميتها التي اكتسبتها في ظل الدولة الإسلامية، فالمدينة حاليًا ليست من المدن الإسبانية الكبيرة، وهي تكاد تكون مربعة الشكل، وأكبر شوارعها " منتزه القبطان الأعظم Paseo del Gran Capitan "، وهو القبطان " جونثالفو دي كوردبا" الذي يعد من أعظم قواد إسبانيا وقت سقوط مدينة غرناطة، ومما يجدر ذكره أنه ما زالت توجد بقرطبة حتى اليوم شوارع صغيرة تحمل أسماء شخصيات إسلامية كانت لامعه في تاريخ الأندلس، مثل شارع: " المنصور، وابن رشد، وابن ميمون"، وهي تقع متجاورة على مقربة من مسجدها الجامع[٢].

أما قصر قرطبة فيقع داخل المدينة، ولهذا سميت المدينة الداخلية بالقصبة، وهو من بناء الرومان، وظل مقرًا لولاتهم حتى الفتح الإسلامي[٣]، ثم اتخذه الولاة منذ أيوب بن حبيب اللخمي (٩٧هـ/٧١٥م) مقرًا لهم إلى أن قامت الإمارة الأموية في الأندلس (١٣٨-٧٥٥م)، فاستقر فيه الأمير الأموي عبدالرحمن بن معاوية (الداخل) (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٩م)، وأعاد بناء ما

(١) عنان: الأثار الأندلسية، ص١٨.

(٢) عنان: الآثار الأندلسية، ص١٨،١٩.

(٣) يذكر المؤرخون: أن القائد مغيث الرومي بعد أن فتح مدينة قرطبة نزل في هذا القصر، إلى أن أخرجه منه موسى بن نصير، وعوضه عنه قصرًا آخر غربي المدينة وخارج أسوارها، يعرف ببلاط مغيث، باعتبار أن هذا القصر لا يصلح إلا لمن يتولى إمارة قرطبة، وكان هذا القصر متسعًا حيث كان متصلًا بسورها القبلي والغربي في آن واحد. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٥٦.

تهدم منه، وأضاف إليه إضافات جديدة؛ حتى يكون قصرًا جديرًا بالإمارة الأموية[١].

نال قصر قرطبة اهتمامًا بالغًا، وحيزًا كبيرًا في كتابات المستشرقين الإسبان، ويأتي في مقدمتهم المستشرق باسيليو بابون، ومما يميزه عن غيره من أقرانه أنه حاول من خلال كتاباته تقديم وصف دقيق وصورة حقيقة لما كان عليه قصر الخلافة بالعاصمة قرطبة، كما أنه جمع ما كُتب حول قصر قرطبة في كل من المصادر العربية، والمراجع الأجنبية.

أطلق مالدونادو على قصر قرطبة "دار الإمارة"[٢]، وتارة يسميه "دار الخلافة"[٣]، وذكر أن مساحته كانت تصل إلى ٣٠٠٠ كم٢– ضعف مساحة دار الإمارة بإشبيلية– ، وتمثل تلك المساحة حوالي الثلث بالنسبة للنواة الأولى لمدينة

(١) ابن عذارى: أبو عبد الله محمد بن محمد (ت: نحو ٦٩٥هـ/١٢٩٥م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح. ج. س. كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت – لبنان (ط٣: ١٩٨٣م)، ج٢، ص٢٥، المقري: نفح الطيب، ج٢، ص٨٤.

(٢) عصر الإمارة الأموية في الأندلس: (١٣٨–٣١٦هـ/٧٥٥–٩٢٩م)، ويبدأ بمجيء عبدالرحمن الداخل إلى الأندلس، وينتهي بإعلان الخلافة من قبل عبد الرحمن الثالث عام (٣١٦هـ/٩٢٩م)، وقد أسس الداخل إمارة أموية مستقلة عن الخلافة العباسية، استمرت مائة وسبعين سنة. عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢–٨٩٧هـ/٧١١–١٤٩٢م) دار القلم، دمشق– بيروت (د.ت)، ص٣٩.

(٣) عصر الخلافة الأموية في الأندلس: (٣١٦–٤٠٠هـ/٩٢٩–١٠٠٩م)، ويبدأ منذ إعلان الخلافة الأموية في الأندلس حتى وفاة الحكم المستنصر (الثاني) سنة (٣٦٦–٩٧٦م)، أو حتى الدولة العامرية في نهاية القرن الرابع الهجري/ بداية القرن الحادي عشر الميلادي، فكان عمر الخلافة حوالي قرن. الحجي: التاريخ الأندلسي، ص٣٩، ٤٠.

قرطبة[١]، فطبقًا للرواية العربية كانت مساحة قرطبة تتراوح ما بين ٨٧ و ٨٩ ألف كم٢[٢].

ونقلًا عن المقري ذكر مالدونادو أن قصر قرطبة كان به منشآت قديمة عبارة عن آثار يونانية ورومانية وقوطية- وكلها آثار لم توصف-، ثم قام الأمراء من بني أمية بإقامة مبان عظيمة وحدائق بديعة، وتم نقل المياه العذبة إليه من جبال قرطبة عن طريق شبكة مواسير تصل إلى الجزء الشمالي وإلى المسجد الجامع[٣].

وكان في داخل القصر ما لا يقل عن أحد عشر مجلسًا أو قصرًا[٤]، منها -كما ذكر ابن خلدون-: المجلس الزاهر، والبهو الكامل، والقصر المنيف، وبنى الخليفة عبدالرحمن الناصر (الثالث)(٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) قصره العظيم، وسماه "دار الروضة"[٥] إلى جانب الزاهر[٦]؛ ولعله سمي بذلك لأنه كان يشرف على مقبرة الخلفاء المعروفة بالروضة داخل القصر[٧]، كما أسس الدار المسماة "بدار الرخام"[٨].

(١) مالدونادو: العمارة الإسلامية في الأندلس- عمارة القصور القرن العاشر والحادي عشر- عصر الخلافة وعصر ملوك الطوائف -، ترجمة: علي إبراهيم منوفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، (ط١: ٢٠١٠م)، مج١، ص٤٧.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٥٨.

(٣) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٦٤، عمارة القصور، ج١، ص٤٨.

(٤) مالدونادو: العمارة، ج١، ص٤٨.

(٥) ابن خلدون: العبر،ج٤، ص١٨٥.

(٦) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٥٧٨.

(٧) ابن حيان: حيان بن خلف بن حسين(ت:٤٦٩هـ/١٠٧٦م): المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح. عبدالرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت (د.ت)، ص٢٨

(٨) سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (د.ت)، ج١، ص١٨٩.

وفي سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م)، جلس الأمير عبدالرحمن الناصر للبيعة في محراب المجلس الكامل بقصر قرطبة[١]، كما استقبل الخليفة السابق السفير البيزنطي في بهو المجلس الزاهر في سنة (٣٣٨هـ/٩٤٩م)[٢].

وبالإضافة إلى هذه المجالس ذكر ابن حيان أسماء قصور أخرى داخل قصر قرطبة، منها: قصر الوزراء، والمبارك، والمجدد، والحائر، والمعشوق، والتاج، والبديع، والرشيق، والسرور[٣].

وقد أقام الخليفة الحكم الثاني (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) مصلى داخل مجلس دار الروضة، استدل عليه من خلال نقوش الأعمدة، حيث عُثر على عدة أعمدة تحمل بعض تيجانها اسم الخليفة الحكم الثاني، وعلى إحداها نقش عبارته: "من عمل صفر لمصلى سيده"، كما كان هناك صالون يطلق عليه "الزهراء"[٤].

وبالنسبة للحدائق فيشير باسيليو بابون إلى أن تصميمها غير معروف، كما ذكر أن الأمير محمد بن عبد الرحمن(٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) أقام العديد من الحدائق عام (٨٦٤-٨٦٥م)، وكانت هذه الحدائق تروى بالمياه عن طريق قناة تنسب لعبد الرحمن بن الحكم (الثاني) (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م)، كما أن الخليفة عبدالرحمن الناصر قد قام باستدعاء مهندسين من سوريا والقسطنطينية؛ لتصميم حدائق القصر القرطبي[٥].

أما بوابات المقر الخلافي فقد شيدت من الكتل الحجرية، وخلال عصر الإمارة فتحت في أسواره أربع بوابات في الضلعين الشرقي والجنوبي، وفي القرن

(١) البيان المغرب، ج٢، ص١٥٨.

(٢) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٦٧.

(٣) ابن حيان: المقتبس، تح. الحجي، ص٥١.

(٤) مالدونادو: عمارة المياه، ص٢٧٥، عمارة القصور، ج١، ص٥١.

(٥) عمارة المياه، ص٢٧٥.

العاشر الميلادي فتحت بوابات أخرى، وأخذت أسماءها من أسماء الأماكن القريبة منها إما في داخل القصر أو خارجه، فهناك بوابة السدة[١]، وبوابة النهر، وبوابة الحديقة، وبوابة المسجد، وبوابة الحديد، وبوابة الأسد[٢]، وكانت هذه البوابات تحظى برقابة كاملة، ويتم سد بعضها بالطابية[٣]؛ للحيلولة دون الخروج أو الدخول منها في أوقات الصراعات الداخلية[٤].

كذلك من أبواب القصر بوابة قورية (qawariya)[٥]، وباب الصناعة الذي الذي كان مغلقًا[٦]، وقد أضاف الأمير عبدالله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠/٨٨٨-

(١) باب السدة: باب السطح المشرف، أحد الأبواب القبلية، فتحه الأمير عبدالرحمن الأوسط، وكان دفته من الحديد، وفيه حلق لاطون (النحاس) مثبتة في قواعدها، على صورة إنسان فتح فمه، وهي في الأصل حلق باب مدينة أربونة، فلما افتتحها الأمير محمد...، جلب حلقها إلى هذا الباب، ويفتح هذا الباب على رصيف قرطبة، ويعد باب السطح المشرف أحد الأبواب الرئيسة للقصر، وكان الأمير يشرف من السطح على إعدام الثوار أمام هذا الباب. المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٦٤.

(٢) مالدونادو: العمارة، ج١، ص٤٩.

(٣) تعرف الطابية في بلاد المغرب: بأنها خشبة يكون طولها عشرة أشبار. للمزيد. أحمد تيمور باشا: معجم الألفاظ العامية، تح. د. حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة (ط٢: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، ج٤، ص٣١٥.

(٤) مالدونادو: العمارة، ج١، ص٥١، ذكر ابن عذارى في البيان: أن الصقالبة كانوا يكرهون خلافة هشام بن الحكم الثاني، وحدثت وحشة بينهم وبين الحاجب جعفر المصحفي، وبلغه أن الفتيين جؤذر وفائق يدبران ضد الدولة، ويعاونهم وجوه الغلمان، وكان الصقالبة يدخلون ويخرجون من باب الحديد، فأمر الحاجب جعفر بسده بالحجر، وصير دخولهم على باب السدة حتى يكونوا تحت عينه، فحسم شرهم، وقضى على خطرهم. ج٢، ص٢٦٢.

(٥) مالدونادو: العمارة، ج١، ص٤٩.

(٦) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٣٧٦.

٩١٢م) بابًا في القصر عند ركنه القبلي سماه بباب العدل، وكان يقعد للناس يومًا معلومًا في الجمعة؛ ليباشر أحوالهم بنفسه، ولا يكون بينه وبين المظلوم ساترًا[١]، كما أقام ساباطا يصل بين القصر والباب المعروف بباب "سان استبان" المعروف بـ "باب الوزراء" (ملحق١) من أبواب جامع قرطبة الغربية المواجهة للقصر[٢]، وذكر مورينو أن الأمير عبد الرحمن الثاني زاد بابًا في الجهة الشرقية، يطلق عليه اليوم "سان ميجل"[٣](ملحق٢).

على أن النشاط المعماري للخلفاء الأمويين لم يكن قاصرًا على قصر قرطبة، حيث ذكر باسيليو أن عبدالرحمن الثالث أمر ببناء منية الناعورة، وهي المنية التي تعرف عند الآثاريين باسم "عزبة القائد"؛ لجمال زخارفها المعمارية، وكان الناصر يمر عليها في غدوه ورواحه من قرطبة إلى مدينة الزهراء، كذلك أقيمت في الرقعة المعمارية للمدينة قصور صغيرة، أو منيات لأبناء الخليفة، ولأثرياء قرطبة، كانت هذه المنيات مخصصة لأسرة واحدة، وتضم أبراجًا وحدائق في القطاع الخارجي لها، وكان تصميم هذه القصور يشبه إلى حد كبير القصور الأموية في المشرق[٤].

ومما يميز المنشآت الأميرية القرطبية أن هذه القصور أو المجالس كانت أبنية جديدة مع الحفاظ على المنشآت القديمة أو الموروثة، كما فعل الناصر في

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص١٥٣.

(٢) مالدونادو: مساجد قرطبة، ص١١، ابن عذارى: البيان، ج٢، ص٢٣٠.

(٣) مالدونادو: مساجد قرطبة، ص١٤، مانويل جومث مورينو: الفن الإسلامي في إسبانيا من الفتح الإسلامي للأندلس حتى نهاية عصر المرابطين وفنون المستعربين، ترجمة: السيد سالم، ولطفي عبد البديع، نشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (د.ت)، ص٦٣.

(٤) العمارة، ج١، ص٥١.

أواخر خلافته، عندما أمر ببناء مدينته الملكية التي أطلق عليها اسم الزهراء، ولكن دون هجر القصر القديم في قرطبة(١).

ومع أن عمارة القصر القرطبي بدأت في التراجع بعد نقل البلاط الملكي إلى مدينة الزهراء، فقد تعرض القصر لأعمال السلب والتخريب خلال أحداث الفتنة البربرية، ودخل البربر مدينة قرطبة في سنة (٤٠٣هـ/١٠١٢م)، فطمست أبوابه، ولم يعد مقرًا للخلفاء والأمراء، ف "بنوا جهور" كانوا يتولون أمر قرطبة من ديارهم، وعندما نزل المعتمد بن عباد (٤١٤-٤٨٤هـ/١٠٢٣-١٠٩١م) قرطبة أقام في قصر البستان الواقع عند باب العطارين(٢).

ويرجح باسيليو أن قصر قرطبة العتيق أعيد ترميمه في ظل الموحدين، حيث يذكر ابن صاحب الصلاة: أن الأمير أبا يعقوب يوسف (١١٦٣-١١٨٤م) نزل بالقصر، وجلس في صالة التشريفات(٣)، ومما يؤكد ذلك أنه تم العثور على زخارف جصية في " ساحة الشهداء" ترجع إلى القرن الثاني عشر، إلى جوار زخارف أخرى تعود إلى فترات سابقة، الأمر الذي يؤكد أن بعض أجزاء القصر الذي شيد في القرن العاشر الميلادي ظل لسنوات طويلة بعد سقوط الخلافة(٤).

ورغم تعرض قصر قرطبة العتيق للعديد من الأضرار الجسيمة، إلا أنه ظل قائمًا حتى سقوط المدينة في أيدي القشتاليين سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٦م)، فكان

(١) مالدونادو: العمارة، ج١، ص٥١،٥٢.

(٢) مالدونادو: العمارة، ص٥٢، سالم: قرطبة، ج١، ص١٩٤.

(٣) ابن صاحب الصلاة: عبد الملك محمد بن أحمد بن إبراهيم الباجي (ت: ٥٩٤هـ/١١٩٨م): المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح. عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان (ط٣: ١٩٨٧م)، ص١٣٩، ١٤٠.

(٤) مالدونادو: العمارة، ص٥٢،٥٣.

القصر من نصيب أسقفها، وعرف منذ ذلك الحين بالقصر الأسقفي (Palacio Episcopal)، ثم تعرض للحريق عدة مرات، كان آخرها سنة (١١٥٨هـ/١٧٤٥م)؛ حيث فقد القصر كل معالمه القديمة، ولم يبق منه في الوقت الحاضر سوى الجدار المقابل لجدار الجامع، وجزء من جداره الشمالي(١).

ويذكر مالدونادو أن أحد النبلاء تمكن من العثور على بقايا قصر قرطبة العتيق، حيث كان يسكن في إحدى قرى قرطبة تسمى" المدور"، وقد شاهد هذا السيد مباني بها كتل حجرية شُدت إلى بعضها باستخدام الرصاص المنصهر، وكانت هذه التقنية هي المتبعة في البناء خلال تلك الفترة القديمة(٢).

المبحث الثالث: المسجد الجامع بقرطبة:

ما زالت قرطبة الأوربية تحتفظ حتى اليوم بأثر من أعظم الآثار الأندلسية، هو مسجدها الجامع، الذي كان شاهدًا ومعاصرًا للحقبة الإسلامية الطويلة في قرطبة منذ بداية الدولة الأموية، ثم سقوط الخلافة وما تبع ذلك من فتن وثورات، ثم أيام المرابطين والموحدين، حتى سقوطها ٢٣ شوال سنة ٦٣٣هـ/ ٢٩ يونيه ١٢٣٦م)(٣).

يعد المسجد الجامع بقرطبة أروع أمثلة العمارة الإسلامية والمسيحية على السواء في العصر الوسيط بفضل ما تضمنه من ابتكارات معمارية، وثروات زخرفية(٤)، إذ ظل الأمراء والخلفاء عصورًا يتبارون في توسيعه وزخرفته وتنميقه،

(١) سالم: قرطبة، ج١، ص١٩٤، عمار لبيد إبراهيم: أبرز المظاهر العمرانية في الأندلس في عصر الخلافة (٣٠٠-٤٢٢هـ)، مجلة كلية الآداب، الجامعة العراقية، ع٨، (د.ت)، ص٤٥٧.

(٢) مالدونادو: العمارة، ص٤٨.

(٣) عنان: الأثار الأندلسية، ص٢٠.

(٤) سالم: المساجد والقصور، ص١٠.

حتى غدا برقعته الشاسعة، وسواريه الألف وأربعمائة، وأبوابه البرونزية العديدة، ومحاريبه الفخمة، وزخارفه البديعة من أعظم المساجد الجامعة في العالم الإسلامي، إن لم يكن أعظمها جميعًا[١].

أسس جامع قرطبة التابعي حنش بن عبد الله[٢]، وأبو عبد الرحمن محمد[٣]، وقوما محرابه، وكان موقعه على امتداد الوجهة الشرقية للقصر الخلافي، وإلى شمال قنطرة قرطبة، ويفصل بينه وبين القصر الطريق الأعظم المسمى "بالمحجة العظمى"، وكان هذا الجامع موضع تعظيم وإجلال عند حكام الأندلس، فأولوه عنايتهم "حتى بلغ الغاية في الإتقان، فصار يحار فيه الطرف،

(١) عنان: الأثار الأندلسية، ص٢١.

(٢) حنش بن عبد الله الصنعاني: فقيه مشهور من أهل صنعاء، كان واليًا عليها لابن الزبير، ثم انتقل منها إلى مصر، ثم إلى الأندلس، فنزل مدينة سرقسطة، وأسس جامعها، ومات فيها، ودفن عند بابها الغربي المعروف بباب اليهود، وكانت وفاته سنة (١٠٠هـ/٧١٨م). ابن جرير الطبري الصنعاني: اسحق بن يحيى (ت: ٤٥٠هـ/١٠٥٨م): تاريخ صنعاء، ت. عبدالله محمد الحبشي، نشر مكتبة السخاني، صنعاء- اليمن (د.ت)، ص٣٠،٣١، هامش (٨)، ينظر: الحميدي: أبي عبد الله محمد أبي نصر فتوح (ت: ٤٨٨هـ/١٠٩٥م): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة ١٩٦٦م، ص٦، ابن الجوزي: عبد الرحمن بن على بن محمد أبو الفرج(ت:٥٩٧هـ/١٢٠٠م): غريب الحديث، تح. عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان (ط:١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ج١، ص١٨٩.

(٣) أبوعبد الرحمن محمد الحُبُلي: ذكر المقري: أن اسمه عبدالله بن يزيد، أرسله الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز إلى إفريقية في جماعة من الفقهاء ليفقهوا أهلها، وهو من التابعين الذين دخلوا الأندلس، توفي بإفريقية بعد سنة (١٢٠هـ/٧٣٧م). نفح الطيب، ج١، ص٢٧٨.

ويعجز عن حسنه الوصف"[١]، وأطلق عليه "الجامع المبارك"[٢]، و "الجامع الأعظم"[٣].

أُقيم جامع قرطبة في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل عام (١٧٠هـ/ ٧٨٦-٧٨٧م)، وأتمه ولده هشام الأول (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م)، حيث أكمل بناء الصحن[٤]، والمنارة التي بلغ ارتفاعها أربعون ذراعًا (٧٨٨-٧٩٦م) [٥]، إضافة إلى الميضأة التي تقع شرق حرم المسجد، ودهاليز (سقائف) في الجزء الخلفي للجامع خصصت للنساء، وبلغت مساحة المسجد (٥٢٢٦ م٢)، وزاد فيه الأمير عبدالرحمن الأوسط توسعة جديدة عام (٨٣٣ وحتى عام ٨٤٨م)؛ حيث جرى خلالها مد كافة الأروقة للمصلى القديم ناحية الجنوب لمسافة ٢٤م[٦]، وترتب على هذه التوسعة هدم حائط القبلة، وإقامة محراب جديد عام ٢٣٤هـ/٨٤٨م، كما فتح في بيت

(١) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١٥٣.

(٢) ابن حيان: المقتبس، ت. الحجي، ص٢٤٣.

(٣) المراكشي: المعجب، ص٢٦٧، المقري: نفح الطيب، ج١، ص٤٦٢.

(٤) عَهد الأمير عبدالرحمن الداخل إلى الفقيه عبدالله صعصعة بن سلام (ت: ١٩٢هـ/٨٠٧م) -صاحب الصلاة بالمسجد- بفرش صحن المسجد الجامع بالأشجار، سالم: المساجد، ص١٥. وأصبح هذا الأمر تقليدًا في بلاد الأندلس، فذكر ابن بطوطة في رحلته: أن صحن جامع مالقة فيه أشجار النارنج. ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله (ت:٧٧٩هـ/١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة، المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تح. عبدالهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج٤، ص٢١٩.

(٥) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٠، ميمون موساوي: من تجليات الهندسة المعمارية لمسجد قرطبة، المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية، ع ١٠، شباط (فبراير) ٢٠١٩م، ص٤.

(٦) جاء في كتاب المساجد والقصور في الأندلس: للسيد سالم أن هذه الزيادة بلغت ٢٦م. السيد سالم: ص١٨.

الصلاة بابين في جانبي المسجد الشرقي والغربي، تبقى منها البابان الغربيان: باب سان استبان[١]، وباب دي لوس ديانيس (باب الأمير)[٢].

وفي عام (٢٥٠هـ/٨٦٤م) أقام الأمير محمد بن عبدالرحمن " المقصورة"، وكان أول من اتخذها من أمراء بني أمية في الأندلس، ثم زاد الأمير عبدالله بن محمد ما يسمى " بالساباط"[٣] الموصل بين القصر والجامع من جهة الغرب، وهو عبارة عن ممر مسقوف مبني فوق عقد[٤] كبير، يفضي إلى مقربة من المحراب، وفتح إلى المقصورة بابًا، وهو الباب الذي يطلق عليه اليوم باب سان ميجل[٥]، كان يخرج منه إلى الصلاة فلا يراه أحد في حضوره ولا انصرافه[٦].

وفي عام (٣٤٠هـ/٩٥٢م) أمر الخليفة عبدالرحمن الناصر بهدم منارة الجامع التي أقامها هشام الأول، وأقام مئذنة جديدة ملاصقة للحائط الشمالي، وفُرغ من بنائها في ثلاثة عشر شهرًا، (ملحق٣)، وذكر ابن الخطيب: أن الناصر جعل في ذروة المنار ثلاث رمانات، اثنتان منها ذهب، وواحدة من فضة[٧]، كما

(١) مالدونادو: عمارة المساجد، ص١٣.

(٢) سالم: المساجد، ص١٨.

(٣) الساباط: جمعها: سَوابِيطُ وساباطاتٌ، وهو عبارة عن سقيفة بين حائطين، من تحتها طريق نافذ. ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٣١١.

(٤) ذكر مالدونادو أن " العقد الحدوي" كان هو الشائع في المسجد القرطبي منذ إنشاءه، وفي وفي مساجد مدينة طليطلية، على أنه منذ عصر الخلافة الأموية، وخاصة في عهد الحكم الثاني (المستنصر) جرى إدخال "العقد المفصص" كبديل معماري بدلًا من العقد الحدوي التقليدي. عمارة المساجد –قرطبة– ص٤٩، ص١٠٩.

(٥) مالدونادو: عمارة المساجد، ص١٤.

(٦) سالم: المساجد، ص١٩.

(٧) ابن الخطيب: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، لسان الدين(ت:٧٧٦هـ/١٣٧٤م): أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح. سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان (ط٢: ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)، ج٢، ص٣٨.

جعل لها مطلعين، بخلاف المئذنة الأولى التي كانت ذات مطلع واحد، وكان لكل مطلع منها (١٠٧) درج، كما وسع الناصر صحن المسجد، وبلغت مساحة الصحن الجديد (٤٢٣٤ م٢)[١].

ومع تولي الحكم الثاني سُدة الحكم عام (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)، ونتيجة لاتساع رقعة العاصمة وزيادة أعداد المصلين داخل المسجد، قرر الخليفة البدء في توسعة أخرى للجامع، بدأت عام ٩٦٢م، وانتهت عام ٩٦٥م، وتمثلت تلك التوسعة في امتداد المسجد ناحية الجنوب، فتم مد الأروقة ٤٥,٨٦م، وأقام المحراب الثالث وهو المحراب الحالي للجامع، ويؤرخ وفقًا للنص التأسيسي المنفذ عليه بعام (٣٥٤هـ/٩٦٥م)[٢] بعد هدم المحراب الذي شيد في عهد عبدالرحمن الثاني؛ نتيجة أعمال التوسعة[٣]، وجعل له قبة زخرفت بالفسيفساء، وأنشأ دارًا للصدقة، وأخرى للوعاظ وعمال المسجد[٤].

أما المرحلة الأخيرة لأعمال التوسعة في جامع قرطبة فتمت في عهد الحاجب المنصور ابن أبي عامر، وزير الخليفة هشام الثاني، جرت التوسعة في غضون عامين ونصف (٣٧٧-٣٨٠هـ/٩٨٧-٩٩٠م)؛ وجاءت هذه التوسعة نتيجة لزيادة عدد سكان قرطبة على إثر وفود قبائل البربر من الشمال الإفريقي، فإلى شرق المسجد المقام تم إضافة ثماني بلاطات بعمق يصل إلى طول ذلك البناء ١١٦,٦٤م، ويبلغ العرض ٤٨م، وبذلك تضاعف حجم الجامع تقريبًا، كما

(١) مالدونادو: عمارة المساجد، ص١٤، سالم: المساجد، ص٢٠.

(٢) أحمد محمود دقماق: الأساليب المعمارية لتغطية المحاريب في العمارة الأندلسية- دراسة أثرية معمارية مقارنة مع المغرب الأقصى- مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، ع١٧، ٢٠١٦م، ص١٧.

(٣) مالدونادو: عمارة المساجد، ص١٤.

(٤) عنان: الأثار الأندلسية، ص٢١.

جرى توسعة صحن المسجد ناحية الشرق، وبانتهاء أعمال الزيادة بلغت مساحة المسجد الإجمالية مع نهاية القرن العاشر ٢٢٤٢٣ م٢، وعدد الأعمدة ٥٦١ عمودًا[١]. (ملحق٤).

ويقع جامع قرطبة في طرف المدينة الجنوبي وسط شبكة من الدروب الأندلسية القديمة، على مقربة من القنطرة القائمة على نهر الوادي الكبير، وما يزال هذا الجامع قائمًا إلى اليوم بسائر عقوده الإسلامية، وأروقته ومحاريبه. ولكنه حول منذ القرن السادس عشر الميلادي إلى كنيسة قرطبة العظمى، وبالرغم من أن الهياكل قد أقيمت في سائر عقوده الجانبية، وأقيم في وسطه مصلى عظيم على شكل صليب، فإنه ما زال يحمل بالإسبانية اسمه الإسلامي القديم " المسجد الجامع " Mezqnita Aljama La، وقد أزيلت قبابه ومعظم زخارفه الإسلامية، لتحل مكانها الزخارف النصرانية. ولكن محاريبه الفخمة مازالت تحتفظ بنقوشها الإسلامية، وآياتها القرآنية[٢].

(١) مالدونادو: عمارة المساجد، ص١٧. ظل المسجد بعد زيادة المنصور على صورته، فلم تضف إليه أي إضافة سوى أعمال التجديد خلال عصري المرابطين والموحدين، وبعد سقوط قرطبة في أيدي النصارى سمي الجامع بكنيسة "سانتاماريا الكبرى"، ومنذ ذلك الحين أخذ مظهره يتحول شيئًا فشيئًا إلى صورته الحالية، وقد حمل العلماء الأثريون جميعًا، وفي مقدمتهم الإسبان على هذا التشويه لأثر من أجل الآثار الإسلامية، ووصفوا ذلك بأنه:" تدنيس للفن"، عنان: الأثار الأندلسية، ص٢٨. وحينما رأي شارلكان (ملك إسبانيا خلال الفترة ١٥١٩: ١٥٥٦م) أعمال التخريب لبناء كاتدرائية قوطية الطراز في قلب الجامع، تألم وقال:" لو كنت قد علمت ما وصل إليه ذلك لما كنت قد سمحت بأن يمس البناء القديم؛ لأن ما بنيتموه موجود في كل مكان، وما هدمتموه فريد في العالم". سالم: المساجد، ص٢٩.

(٢) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة (ط٤: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ج١، ص٢٧٨.

يقول غوستاف لوبون:" كان جامع قرطبة يفوق معابد الشرق قاطبة بعظمته وروعته... ولا يزال من المباني المهمة مع ما أحدثه الإسبان فيه من التلف والفساد"[١]، ولهذا كان من الطبيعي أن يستحوذ جامع قرطبة[٢] على النصيب الأوفى من كتاب المستشرقين الإسبان؛ لما له من مكانة دينية كبرى في تاريخ وحضارة الأندلس وإسبانيا، كذلك تأثيراته في فنون العمارة الإسلامية والمسيحية.

هذا وقد أثار المستشرقون الإسبان –وغيرهم– عددًا من القضايا التي تتعلق بالجامع الأموي بقرطبة، وترجع هذه القضايا في مجملها إلى التعارض بين ما ورد في النصوص التاريخية العربية، وبين نتائج الحفريات الأثرية في أرض المسجد، وقد تطرق المستشرق باسيليو بابون خلال دراسته للجامع لهذه القضايا، وحدد محاورها في ثلاث نقاط رئيسة:

- **القضية الأولى: تتعلق باقتسام المسلمون مع النصارى كنيسة قرطبة الكبرى.**

ذكر باسيليو بابون أن اقتسام المسلمين –بعد فتح قرطبة– كنيسة "سان بيثنتي" مع نصارى المدينة، أمر أثار كثيرًا من الشكوك لدى علماء الفن الإسباني المتخصصين في النقوش العربية، وتساءل في مدى إمكانية حدوث ذلك؟، ويربط

(١) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، طبع مؤسسة هنداوي، القاهر (٢٠١٢م)، ص٢٩٧.

(٢) تطرق باسيليو إلى مساجد الأحياء الأخرى في مدينة قرطبة، منها مسجد سان خوان، وسانتا كلارا، ومسجد فونتانار، وما بقي منها أطلال. للمزيد ينظر مساجد قرطبة، ص٢٠٥.

هذه الصورة بتاريخ المسجد الأموي بدمشق الذي أقيم مكان كنيسة القديس يوحنا(١).

كما أضاف أن مقر كنسية دمشق كان كبيرًا لدرجة أنه كان يحتوي على مبان مختلفة، ثم جاء المسلمون واستولوا على إحدى هذه المباني وحولوها إلى جامع، ثم استولوا على ما بقي من الكنيسة.

أما بالنسبة لحالة قرطبة فيشير إلى أن الأمر يتسم بالغموض وعدم الدقة، وطرح باسيليو العديد من الأسئلة حول حالة وحجم المبني الذي تقاسمه المسلمون مع النصارى هل كان صغيرًا، أو وحيدًا؟ أو مجموعة من المباني التي تلتف حول الكنيسة؟

فطبقًا للدراسات التي أعدها المهندس المعماري جوميث مورينو، ومن خلال نتائج أعمال الحفر التي تمت في عامي ١٩٣٢-١٩٣٣م، ذكر أنه لم يتسن اكتشاف شيء يتصل بالكنيسة – للهبوط بمستوى أرض المسجد– سوى فسيفساء رومانية ظهرت على عمق كبير، ثم بعض الأسس البنائية، يعلو ذلك طبقة حديثة على عمق "٥٥ سنتيمتر" من الأرض عثر فيها على أساس لبناء متهدم مغطى بالملاط، كما عثر على بناء جدرانه خشنة وغير منتظمة، يتكون

(١) مالدونادو: عمارة المساجد، ص٩. أشار ابن عساكر إلى أن المسلمين اقتسموا كنيسة دمشق مع النصارى بعد الفتح، فلما تولى الوليد بن عبدالملك الأموي الخلافة اجتمع بالنصارى وطلب منهم أخذ نصف الكنيسة الآخر، فرضوا بعد تعويضهم، ثم هدمه وأدخله في المسجد. ابن عساكر: أبو القاسم على بن الحسن بن هبة (ت:٥٧١هـ/١١٧٥م): تاريخ دمشق، تح. أبوسعيد عمر بن غرامة العموري، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة (١٤٥٠هـ/١٩٩٥م)، ج٢، ص٢٥١- ٣٥٦، ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٢٩.

من ثلاثة أروقة تتجه من الشرق إلى الغرب ولا يتجاوز عرضها اثنا عشر مترًا[١].

وبالنسبة لنتائج أعمال الحفر التي تمت في صحن الجامع فظهر على عمق مترين بقايا بناء روماني يرجع إلى القرن الخامس الميلادي، يتكون من بوابة كبيرة بحنيات في الجدران، وهي عبارة عن بائكة بها كُوّات (نافذة صغيرة في الحائط للتهوية والإضاءة) في الأضلاع، وخمسة أعمدة ذات تيجان كورنثية[٢] مزخرفة بصفين من مجرد أوراق ملساء تتسم بالبساطة، وأبدانها غير تامة الاستدارة، وقواعدها كلاسيكية، ولا ينتمي هذا البناء في موقعه أو في مظهره إلى الكنيسة[٣].

وبناءً عليه، ووفق هذه الروايات فقد تولد الشك بشأن اقتسام المسلمين كنيسة سان بيثنتي مع النصارى، وبالأخص عقب ظهور نتائج الحفريات، والتي أسفرت عن وجود آثار رومانية متواضعة في البناء والزخرفة، كما أثبتت الحفريات عدم وجود أثار كنسية.

بيد أن الحقيقة الثابتة التي أجمع عليها مؤرخو الغرب الإسلامي أن عبدالرحمن الداخل قام ببناء الجامع في الموضع الذي كانت تقوم عليه كنيسة

(١) مورينو: الفن الإسلامي، ص١٧.

(٢) ترجع تسمية العمود الكورنثي إلى مدينة كورنثا اليونانية، وله عدة تصميمات زخرفية مأخوذة من نبات الأقنثا (الأكانتس)، انتشر هذا النوع من التيجان بداية من اليونان ثم الرومان، ثم انتقل إلى الزخرفية الإسلامية. محمود يحيى إسماعيل، سامي محمد أبوطالب: الأعمدة بمساجد المنيا الأثرية، مجلة البحوث، كلية التربية النوعية، مج٥، ع٢٥، جامعة المنيا ٢٠١٩م، ١٩٠.

(٣) مورينو: الفن الإسلامي، ص١٨، مالدونادو: ص١٠.

قرطبة[١]، لكن محل الخلاف يدور حول موضوع تقسيم كنيسة سان بيثنتي بعد الفتح، وأن الكنسية ظلت قائمة حتى تأسيس الإمارة الأموية.

وقبل أن نسرد ما ورد في المصادر العربية فيما يخص تقسيم كنيسة قرطبة بين المسلمين والنصارى لا بد أن نتطرق إلى ما أورده المستشرق دوزي في كتابه:" المسلمون في الأندلس"، حيث يعد أول من ذكر تقسيم كنيسة قرطبة، فقال في أحداث سنة (١٦٨هـ/٧٨٤م): أن عبدالرحمن الداخل طلب من النصارى أن يبيعوه النصف الآخر من الكنيسة، وتم الاتفاق على أن يتنازل له النصارى مقابل مائة ألف دينار مع إعادة بناء الكنائس التي هدمت[٢].

كما أشار صاحب كتاب: "تاريخ الأندلس" إلى أن المسلمين تقاسموا كنيسة قرطبة مع النصارى بعد الفتح مباشرة، فذكر تحت عنوان "الخبر عن جامع قرطبة..." أنه بعد فتح المسلمين للأندلس، ودخول طارق بن زياد مدينة قرطبة، أمر ببناء المسجد الجامع في نصف كنيستها، فبني، وبقي النصف الثاني كنيسة بأيدي النصارى، فلم يزل الأمر كذلك إلى أن ولي عبدالرحمن ابن معاوية الداخل، فاشترى النصف الثاني من الكنيسة وبنى الجامع[٣].

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢٢٩، المقري: نفح الطيب، ج١، ص٥٤٦، سالم: المساجد والقصور في الأندلس، ص١٢، جوميث مورينو، الفن الأندلسي، ص٢٣، مالدونادو، مساجد قرطبة، ص١٣، دوزي: المسلمون في الأندلس، ج١، ص٥١. يخالف الدكتور مؤنس الروايات العربية، ويصرح بأنها أساطير نشأت في القرن العاشر، أي بعد بناء الجامع بقرنين، وأن بناء الجامع كان على أرض فضاء خالية تمامًا من أي بناء. حسين مؤنس: رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود، الدار السعودية، جدة- المملكة العربية السعودية، (ط٢: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص٧١.

(٢) دوزي: المسلمون في الأندلس، ج١، ص٥١.

(٣) مجهول: تاريخ الأندلس، ص٨١،٨٢.

وأورد ابن عذارى والمقري نقلًا عن ابن بشكوال فيما ذكره عن الرازي: أنه لما افتتح المسلمون الأندلس شاطروا نصارى قرطبة كنيستهم العظمى، وابتنوا في ذلك الشطر مسجدًا جامعًا، وبقي الشطر الثاني بأيدي النصارى، ثم لما كثر الداخلون إلى الأندلس من العرب ضاق عليهم المسجد، فجعلوا يعلقون منه سقيفة بعد سقيفة حتى شق عليهم الوصول إلى داخل المسجد؛ لتلاصق السقائف، وظل المسجد على هذه الحال إلى أن استولى على الأندلس الأمير عبدالرحمن ابن معاوية الداخل، فنظر في أمر الجامع، وعزم على بنائه وتوسعته، فأحضر أكابر النصارى وفاوضهم في شراء ما بقي من كنيستهم، وبذل لهم الأموال، فوافقوا على أن يتخلوا للمسلمين عن هذا الشطر مقابل إعادة بناء ما هُدم من كنائسهم خارج قرطبة(١).

كما حدد الحميري موضع الكنيسة بالنسبة للجامع، حيث ذكر أنها كانت في الجانب الغربي منه(٢).

ووفقًا لهذه الروايات فإن الأمير عبدالرحمن الداخل اشترى نصف الكنيسة الثاني من النصارى لإقامة المسجد الجامع، كما أعطاهم حق إقامة كنائسهم المهدمة خارج قرطبة مقابل تخليهم عن هذا الشطر، إذن ليس هناك موجب لنفي تقسيم الكنيسة بعد الفتح بين المسلمين والنصارى، وفي اختيار المسلمين لكنيسة قرطبة العظمى موضعًا لإقامة مسجدهم في شطر منها، ليست هي الحالة الأولى من نوعها في الأندلس، فقد فعل المسلمون ذلك في مدينة إشبيلية؛ حيث أقاموا مسجدهم في كنيسة ربينة(٣)، وكذلك في مدينة طليطلة، وهو أمر إن دل على

(١) البيان المغرب، ج٢، ٢١٢، نفح الطيب، ج١، ص٥٦٠.

(٢) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٨٤.

(٣) ابن القوطية: أبوبكر محمد بن عمر بن عبد العزيز(ت:٣٦٧هـ/٩٧٧م): تاريخ افتتاح الأندلس، تح. إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة – دار الكتاب اللبناني، بيروت (ط٢: ١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص٣٧.

شيء فإنما يدل على رغبة الفاتحين في تسجيل انتصاراتهم من الناحية الدينية، وقد فعل الإسبان الشيء نفسه عند استيلائهم على قواعد الأندلس، إذ حولوا مساجدها الجامعة إلى كاتدرائيات، ومساجدها الصغيرة إلى كنائس(١).

يقول المستشرق باسيلو: إن الأمر الأكثر جدارة بالتصديق أن العرب شاركوا المسيحيين في الصلاة في مكان واحد داخل كنيسة تسمى سان بيثنتي، حيث قام عبدالرحمن بشرائها لبناء مسجد في المكان نفسه(٢).

ويضيف مورينو أن كنيسة قرطبة بقيت على حالها بعد الفتح، إلا أنه بعد أن انقسم المجتمع الإسباني إلى مسيحيين مستعربين ومسالمة، طالبوا بحقهم في استخدام البناء بأن يكيفوه ليتفق مع دينهم الجديد، فقسم البناء، وهكذا صار نصف الكنيسة مسجدًا دون أن يطرأ عليه أي تغيير معماري(٣).

كذلك أشار ليفي بروفنسال وتورتيس بلباس: أن المسلمين عندما فتحوا قرطبة أخذوا نصف كنيسة سان بيثنتي وحولوها إلى مسجد، ولما زاد عددهم، وضاق بيت الصلاة عليهم أخذوا يعلقون فيه سقائف خشبية، وعندما دخل الأمير عبدالرحمن قرطبة ووجد هذه المشكلة عزم على حلها عن طريق ضم الشطر الباقي من الكنيسة إلى الجامع في بناء واحد كبير، وعقب حصول عبدالرحمن على موافقة النصارى أمر في سنة (١٦٩هـ/ ٧٨٥م) بهدم المبنى بكامله (المكون من المسجد والكنيسة)، وإقامة جامع قرطبة الذي استغرق بناؤه حوالى عام(٤).

---

(١) السيد عبد العزيز سالم: أضواء على مشكلة تأريخ بنيان المسجد الجامع بقرطبة، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ع١٥، مدريد ١٩٧٠م، ص١٣.

(٢) مساجد قرطبة، ص٩.

(٣) الفن الإسلامي، ص١٦.

(٤) بروفنسال: تاريخ إسبانيا، ص١٢٦، ليوبولدو تورتيس بلباس: تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (٧١١-١٠٣١م)، ترجمة: علي عبد الرؤف، وآخرين، مج٢، ج٢، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (ط١: ٢٠٠٢م)، ص٢٩.

ومن خلال ما سبق نستطيع أن نؤكد –بما لا يدع مجالًا للشك–، أن المسلمين خلال عصر الولاة شاطروا نصارى قرطبة كنيستهم العظمى، وأن الجامع كان يشغل جزءًا من الكنيسة لعله فناؤها أو احدى ملحقاتها، أما الكنيسة الفعلية بمذبحها وأروقتها فكانت في النصف الذي آل إلى نصارى المدينة(١).

- **القضية الثانية: تتعلق بتأريخ بنيان الجامع الأموي، والمدة التي استغرقها البنيان.**

أشار المستشرق باسيليو بابون إلى هذه القضية في معرض حديثه عن تأسيس جامع قرطبة في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، وذكر أن الفترة الزمنية التي استغرقتها عملية بناء الجامع قصيرة وغير مؤكدة(٢).

ويعود هذا الأمر في أساسه إلى تعارض النصوص التاريخية الواردة في المصادر العربية مع نتائج الحفريات الأثرية التي جرت في أرضية الجامع.

فالنصوص العربية تختلف فيما بينها في تحديد التاريخ الحقيقي لتأسيس الجامع القرطبي، والمدة التي استغرقتها عملية البناء، فأورد ابن عذارى في "البيان": أن الأمير عبدالرحمن الداخل بدأ في بناء جامع قرطبة في عام (١٦٩هـ/٧٨٥م)، وأتم بناءه عام (١٧٠هـ/٧٨٦م)(٣)، وجاء في "النفح": أن تأسيس المسجد الجامع بقرطبة كان في عام (١٦٨هـ/٧٨٤م)، وفرغ منه عام (١٧٠هـ/٧٨٦م)(٤).

(١) السيد سالم: أضواء، ص١٦.

(٢) قرطبة ومساجدها، ص١٣.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢١٢، أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت (د.ت)، ص١٠٩.

(٤) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٥٦١.

وطبقًا للروايتين فإن الراوية الأولى سجلت أن بناء جامع قرطبة استغرق عامًا واحدًا، وعامين حسب رواية المقري(١).

وقد أثارت قِصر هذه المدة التي استغرقتها عملية بناء جامع قرطبة–سواء كانت عامًا أم عامين– تحفظًا شديدًا لدى المستشرقين؛ فذكر المستشرق جوزيف مورينو أن هذا الأمر غير محتمل الوقوع، بل شكك في الرواية العربية إذ قال:" ولا يزال الشك يكتنف أوّلية المسجد؛ لأن النصوص لا تتضمن إلا رواية ساقها المؤرخون في القرن العاشر... وما يتعلق بإتمام البناء في مدى عام ... هو أمر غير محتمل الوقوع"، مما يجعل " تاريخ المسجد الجامع بقرطبة أمرًا يحيط به الغموض"(٢).

كما أشار المستشرق تورتيس بلباس في كتابه: "تاريخ إسبانيا الإسلامية" إلى أن هذه الفترة الموجزة التي استغرقها بناء الجامع القرطبي قد أقلق العديد من الباحثين الذين كتبوا عن تاريخه(٣).

والواقع أن مدة عام أو عامين لبناء الجامع القرطبي خلال إمارة عبدالرحمن الداخل ليست فترة قصيرة كي تثير هذا الارتياب لدى المستشرقين، خصوصًا أن هناك العديد من الأبنية الضخمة أقيمت في الأندلس في فترات قصيرة.

- وقد ذكر الدكتور السيد سالم: أن فترة بناء الجامع القرطبي معقولة من عدة أوجه:

(١) ذكر مؤنس – دون أن يحدد المصادر التي اعتمد عليها– أن القسم الأول من الجامع الذي بناه الأمير عبد الرحمن الداخل فيما بين سنتي (١٦٤–١٧٠هـ/٧٨٠ –٧٨٦م) تم في ست سنوات لا سنة واحدة " كما يقول هواة الأساطير" رحلة الأندلس، ص٧٢.

(٢) مورينو: الفن الإسلامي، ص٢٤.

(٣) بلباس: تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص٣٠.

١- أنه تم إعادة استخدام بعض مواد البناء التي كانت مستخدمة قبل في الكنائس القوطية والرومانية المهدمة، كالأعمدة الرخامية، والأحجار، مما عجل بانتهاء أعمال البناء.

٢- أن عملية البناء اتسمت بالبساطة وعدم التعقيد الذي من شأنه إطالة أمد البناء؛ فقد تميز الجامع القرطبي في عهد عبدالرحمن الداخل بخلوه من العناصر الزخرفية، فالمظهر العام بسيط للغاية، وكذلك تظهر البساطة في تخطيط الجامع، حيث خلا البناء من أية قباب مرتفعة تزيد من تعقيد البناء.

٣- أن الأمير عبدالرحمن الداخل كان حريصًا على إتمام عملية البناء في أسرع وقت ممكن؛ ولذلك استخدم عددًا كبيرًا من المهندسين والبنائين والعمال، وأنفق عليه مبلغًا كبيرًا يصل إلى ثمانية آلاف دينار(١).

٤- بالإضافة إلى ذلك فأن الأمير عبدالرحمن الداخل لم يبن محرابًا جديدًا، وإنما احتفظ بالمحراب القديم، حيث نقله إلى إضافته الجديدة(٢).

ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن مدة عام أو عامين من العمل المتواصل، والحرص الشديد ليست قصيرة على إتمام بناء جامع قرطبة بصورة تسمح بإقامة الصلاة فيه، إذا وضعنا في الاعتبار أن الأمير عبدالرحمن الداخل لم يتمم عناصر المسجد كلها، وإنما أتمها من بعده ابنه وخليفته هشام الرضا(٣).

وذكر بروفنسال: أن إقامة المسجد الجامع استغرق بناؤه حوالى عام، وبذلك كان البناء متواضعًا، ومحدود المساحة؛ بدليل أن معظم من تعاقبوا على

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢١٣.

(٢) السيد سالم: أضواء، ص٦،٧.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٢١٣.

حكم الأندلس بعد عبدالرحمن الداخل كان همهم الشاغل زيادة رقعة المسجد وتحسينه(١).

يقول المستشرق باسيليو: وبالنسبة للعام الذي استغرقه بناء الجامع، فربما أن البناء الذي أسسه عبدالرحمن الداخل كان يضم تسعة أروقة بدلًا من أحد عشر رواقًا كما كنا نعتقد، وأن العقود المتراكبة المعقدة– على الشكل التي نراها عليه اليوم– لم تكن مقامة عند التأسيس، وهي من إضافات عبدالرحمن الأوسط، ثم ابنه محمد الأول(٢).

كذلك أبدى المستشرق تورتييس بلباس مرونة في تقبله لهذا الرأي، خصوصًا أن كل الأعمدة المستخدمة في البناء الجديد قد أتت من بنايات أخرى سابقة، ثم أوضح أنه طالما لم تظهر نتائج معلومات جديدة حول تأسيس جامع قرطبة في عهد عبدالرحمن الداخل تسمح بطرح المسألة بشكل آخر، فإن النقاش غير مجد وغير مفيد(٣).

- **القضية الثالثة: تتعلق بعدد البلاطات التي أضافها الأمير عبدالرحمن الداخل للمسجد.**

كذلك من القضايا التي أثير حولها النقاش حول الجامع القرطبي، وتعرض إليها المستشرق باسيليو بابون وغيره، قضية عدد أروقة (بلاطات) الجامع الذي بناه الأمير عبدالرحمن بن معاوية الداخل، والتوسعة التي أضافها الأمير عبدالرحمن الثاني (الأوسط)، مما أدى إلى وجود تعارض بين المعلومات التاريخية.

(١) تاريخ إسبانيا، ج١، ص١٢٧.

(٢) قرطبة ومساجدها، ص١٣.

(٣) تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص٣٠.

فذكر باسيليو أن المؤرخين انقسموا إلى فريقين: الفريق الأول يعتمد على النصوص العربية، وفحواه أن المسجد الذي شيده عبدالرحمن الداخل كان يشتمل على تسعة أروقة[١]، فقد أشار ليفي بروفنسال نقلًا عن ابن حيان: أن عبدالرحمن الثاني أمر في عام (٢١٨هـ/٨٣٣م) بتوسعة في عرض المسجد بإضافة رواقين جديدين، عرض كل واحد منهما تسعة أذرع ونصف إلى الأروقة التسعة التي كانت موجودة منذ عصر عبدالرحمن الأول، وفي عام(٢٣٤هـ/٨٤٨م) أمر بإضافة مساحة جديدة إلى المصلى بنقل الحائط الجنوبي من مكانه، وكذلك المحراب، بحيث أضاف إلى الجامع ثماني بلاطات أخرى، وكان يشرف على هذه الأعمال القاضي محمد بن زياد، يعاونه الخصيان: نصر، ومسرور[٢].

في حين يرى الفريق الثاني أن الجامع اشتمل على أحد عشر رواقًا وقت بنائه، واعتمد هذا الفريق على نتائج الحفريات التي أجريت في أرضية بيت الصلاة، دون الأخذ في الاعتبار ما أوردته النصوص التاريخية[٣].

وهذا ما أشار إليه المستشرق تورتيس بلباس حين تعرض لوصف جامع قرطبة؛ حيث ذكر: أن المسجد الذي شيده عبدالرحمن الأول مستطيل الشكل، يبلغ طوله ٧٣,٣٢ م، وعرضه ٣٦,٨٠م، ويتسع لما يقرب من ١٠,٦٤٢ مصل، كان به أحد عشر رواقًا[٤].

---

(١) مساجد قرطبة، ص١٨.

(٢) ابن حيان: المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح. محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، الرياض، (ط١: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج٢، ص٢٨١،٢٨٢، تاريخ إسبانيا، ص٢١٠.

(٣) مالدونادو: مساجد قرطبة، ص١٨، مورينو: الفن الإسلامي، ص٢٩.

(٤) تاريخ إسبانيا، ص٣١، مورينو: الفن الإسلامي، ص٢٩

وأضاف في موضع آخر أنه لم يعط أهمية لما ذكرته المصادر العربية، من إضافة هذا الأمير (عبدالرحمن الثاني) لرواقين، وذلك انطلاقًا من التحليل الأثري للمسجد، الذي أثبتت نتائجه عدم توافقها مع الوثائق، بأن مسجد عبدالرحمن الأول كان يحده من الغرب جدار الواجهة الحالية الذي ينفتح فيها باب سان استيبان، ومن الشرق جدار مماثل، وعليه، فقد أصبح عدد أروقته أحد عشر رواقًا(١).

ثم يتساءل تورتيس بلباس أيهما نصدق؟ هل نصدق الوثائق التاريخية؟ أو نصدق نتائج الحفريات للمبنى نفسه؟ ويقول: إنه لا يجب أن نثق في الوثائق وثوقًا مطلقًا؛ حيث تعرضت للنسخ المتكرر والتحريف، كما لا يجب الأخذ بالشواهد المادية في البناء؛ فإن البنايات تتعرض على مر العصور لتغيرات عدة(٢).

ويجنح باسيليو إلى المعلومات التي وردت في المصادر العربية، فيشير إلى أنها الأكثر إقناعًا من نتائج عمليات الجس الآثاري التي قام بها جومث مورينو، وتورتيس بلباس، وغيرهم، الذين يؤيدون أن المسجد كان فيه أحد عشر رواقًا خلال القرن الثامن – في عهد عبدالرحمن الداخل–، وأن المؤرخين العرب كان شرحهم مصيبًا إلى حد كبير(٣).

ويعلل على ذلك بقوله: إننا لسنا أمام مسجد عادي، إنه الجامع الأكبر في الأندلس الذي بني في الموضع الذي كان فيه كنيسة قرطبة العظمى، وربما كان قبل ذلك معبدًا رومانيًا، وبالتالي فالأرض التي أقيم عليها كانت أرضًا مقدسة

(١) تاريخ إسبانيا، ص٧٤،٧٥.

(٢) تاريخ إسبانيا، ص٧٧.

(٣) مساجد قرطبة، ص٢٢.

على مدى القرون، وقد تعرض هذا المكان لعمليات تعديل وترميم على مدى العصور اللاحقة(١).

وأضاف باسيليو أن عدم العثور على أساسات المبنى القديم الذي بناه عبدالرحمن الداخل (طبقًا لنتائج الحفريات) سواء كانت من الدبش أم الكتل الحجرية المرصوصة، لا يعني عدم وجودهما أصلًا، فإن عملية التوسعة التي تمت في عهد عبدالرحمن الثاني تطلبت إعادة استخدام مواد البناء السابقة بشكل شامل(٢)، وقد يكون هذان الجدران قد بنيا من مادة ضعيفة لم تترك ورائهما أي أثر بعد أن قام عبدالرحمن الثاني بتوسعة بيت الصلاة شرقًا وغربًا عن طريق هدمهما، خصوصًا أن الأمير المذكور كان لديه الوقت الكافي لإزالة هذين الجدارين من أساسهما، وإقامة أسس جديدة لصفي الأعمدة اللذين حلا محلهما(٣).

جب صحن المسجد الجامع في قرطبة:

هذا الجب عبارة عن بناء مربع الشكل، بلغ طول ضلعه (١٠,٥م)، وارتفاعه (٧ م)، وكان سقفه عبارة عن أقبية متقاطعة، وقد أطلق ابن عذارى على هذا البئر اسم (السّقاية) فذكر: أن الأمير المنذر أمر بتجديد السّقاية في جامع قرطبة عام ٨٨٦م(٤)، وقد ظل هذا البئر صالحًا للاستخدام حتى القرن العاشر، إلى أن قام الأمير الحكم الثاني بجلب المياه الجارية إلى المسجد(٥).

(١) مساجد قرطبة، ص٢٢.

(٢) مساجد قرطبة، ص٢٣.

(٣) سالم: أضواء، ص٢٨.

(٤) البيان، ج٢، ص٢٣٠.

(٥) مالدونادو: العمارة الأندلسية –عمارة المياه–، ص١٨.

الجب الذي شيده المنصور بن أبي عامر تحت صحن المسجد:

وهو عبارة عن بناء مربع الشكل، بلغ طول ضلعه (١٤,٥م)، وعمقه حوالي خمسة أمتار، وبه اثنا عشر عقدًا نصف إسطواني، وتسعة أقبية متقاطعة، شُيدت من الكتل الحجرية، وكانت الحوائط الداخلية مغطاة بطبقة من الجص المدهون باللون الأحمر، والبئر يزود بالمياه من خلال مياه الأمطار المتساقطة على سقف المسجد، وعلى سقف البوائك الثلاث المحيطة بالصحن، كما كان البئر مزودًا بقنوات تحت الأرض متصلة بشبكة المياه الخاصة بالرقعة العمرانية(١).

أما تخطيط الجب فكان عبارة عن بناء مربع المساحة، مبني من الكتل الحجرية، ومكون من ثلاث بلاطات، يبلغ حجم إحداها (١٥,٣٢٥م)، أما سقفه فكان يُحمل على أربعة أعمدة، حجم كل عمود (٢,٧٨٧م)، بينما ارتفاعه أكثر من ستة أمتار، وللجب ثلاثة مداخل كانت مكسوة برخام يحمل اللون الأزرق، وتبلغ سعته المائية (٣٩٠م٣)(٢).

(١) مالدونادو: عمارة المياه، ص١٩.

(٢) مالدونادو: عمارة المياه، ص١٩.

المبحث الرابع: مدينة الزهراء:

تأسست مدينة الزهراء[١] عام (٣٢٥هـ/٩٣٦م)[٢]، وذكر باسيليو أن سبب بناء هذه المدينة هو نقل مقر الخلافة إليها، فإن قصر قرطبة لم يعد يتحمل المزيد من المنشآت الخاصة بخلافة وصلت إلى أوج رُقيها وازدهارها، كما أن القيام بعملية توسعة جديدة للقصر القديم ستكلف الكثير، كما يصحبها الكثير من التعقيدات، فكان إنشاء مدينة الزهراء بعيدًا عن الرقعة السكانية في قرطبة مما أتاح الفرصة لبناء قصور تتواكب مع الحياة الملكية[٣].

أيضًا إقامة محيط ملكي مركزي يتمتع بتخطيط حضري جديد يتناسب مع مقدرات الخلافة، مما يتيح للسلطات في الأندلس القيام بإجراءات الحماية التي تقتضيها الظروف الجديدة، كذلك لم يكن بناء مدينة الزهراء بمعزل عما هو سائد

(١) ذكر المقري نقلًا عن بعض مشايخ قرطبة أن سبب تسمية المدينة بالزهراء: أن الخليفة الناصر ماتت له جارية، وتركت مالًا كثيرًا، فأمر أن يفك أسرى المسلمين بهذا المال، فلما لم يجد أسيرًا، طلبت منه جاريته وكانت تسمى الزهراء أن يبني لها مدينة تسميها باسمها، فبنى هذه المدينة، وأمر أن تنقش صورتها على بابها. نفح الطيب، ج١، ص٥٢٣، ٥٢٤، وذكر العبادي: أن مدينة الزهراء تقع شمالي غرب قرطبة على بعد ثمانية كيلوا مترات على سفح جبل العروس، تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٠٤، والزهراء تأنيث الأزهر، وهو الأبيض المشرق، والأزهر: النّير، ومنه سمي القمر الأزهر. ياقوت الحموي: شهاب الدين أبوعبد الله الرومي (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت – لبنان (ط٢: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م). ج٣، ص١٦١.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص١٦٢، ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص٣٩، المقري: نفح الطيب، ج٢، ص١٠١.

(٣) العمارة، ص٤٩، خليل إبراهيم السامرائي وآخرين: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت، لبنان (ط١: ٢٠٠٠م)، ص١٨٢.

في العالم الإسلامي آنذاك، فالعباسيون أقاموا مدينة سامراء في العراق، وفي المغرب أقام الفاطميون مدينة المهدية[١].

ويشير ابن حوقل إلى أن الخليفة عبدالرحمن الناصر أسس مدينة الزهراء غرب قرطبة في سفح يعرف بجبل بطلش، وخط فيها القصور، والأسواق، والمتنزهات، وابتنى الحمّامات، ورغب العامة في الانتقال إليها، ونقل إليها بيت المال والديوان[٢]، ودار سك العملة، ودار الصناعة، ودار الجند، ودار الخدمات الخاصة بكبار القادة، فتوافد الناس بكثرة على المدينة الجديدة، واصطفت المنازل بلا انقطاع بينها وبين قرطبة[٣].

ولم تعمر مدينة الزهراء طويلا فقد ظلت قصرا للخلافة في عهد الخليفة الناصر وولده الحكم المستنصر ثم فقدت أهميتها السياسية عندما سيطر الحاجب المنصور بن أبي عامر على مقاليد الحكم في الأندلس وبنى مدينته التي عرفت باسم الزاهرة في سنة (٣٧٠هـ/٩٧٩م)، ثم فقدت الزهراء رسومها عندما اجتاحت الأندلس وقرطبة خاصة عوامل الفتنة والفوضى جراء النزاع على السلطة في بداية القرن الخامس الهجري، وتعرضت هذه المدينة إلى الدمار والحرق ونهب ما حوته من نفيس التحف[٤].

ويذكر الدكتور العبادي أن الحكومة الإسبانية شرعت في البحث عن موقع مدينة الزهراء في عام ١٩١٠م، فقام المهندس ريكاردو فيلازكيز بوسكو[٥]

---

(١) مالدونادو: العمارة، ج١، ص٥٠.

(٢) ابن حوقل: محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم (ت. بعد ٣٦٧هـ/٩٨٨م)، صورة الأرض، دار صادر، بيروت ١٩٣٨م، ج١، ص١١١.

(٣) مالدونادو: العمارة، ج١، ص٥٣.

(٤) السامرائي: تاريخ العرب، ص١٨٣.

(٥) عالم آثار ومهندس معماري إسباني، ولد في ٢١ مارس ١٨٤٣م في برغش في إسبانيا، وتوفي في ٣١ يوليو ١٩٢٣م في مدريد في إسبانيا. ويكيبيديا. الموسوعة الحرة، تاريخ الولوج ٢٠٢٣/١٢/٢٥م.

(Ricardo Velázquez Bosco) بأعمال الحفر والتنقيب، وأسفرت هذه الأعمال عن العثور على أصول بعض الأسوار والأبهاء والأعمدة والجدران، كما عثر على كميات كبيرة من الخزف والأواني والرخام، وعلى قطع من الزخارف التي كانت تُحلى بها الأسقف والجدران، وتمكن بوسكو من رسم تخطيطًا للمدينة مستعينًا بالنصوص التاريخية(١).

ومن خلال الحفائر الأثرية في أطلال مدينة الزهراء، يمكن القول إنها تنقسم إلى ثلاثة مقارات مسورة ومتدرجة من الجنوب إلى الشمال مدينة فوق مدينة، وقد أشار الإدريسي إلى أن القصور الخلافية كانت في الجزء الأعلى للمدينة، بينما كان المسجد ودور العامة والأسواق في الجزء الأدنى، أما الحدائق والبساتين في الجزء الأوسط تفصل بين القسمين(٢).

وأورد ابن عذارى أن أعمدة الرخام في الزهراء بلغت ٤٣١٣ سارية(٣)، منها ١٠١٣ جُلبت من تونس وقرطاجة، و ١٤٠ من القسطنطينية أهداها إليه ملك الروم، وبقية الأعمدة من رخام الأندلس(٤)، وتفيد الآثار الباقية أن مدينة الزهراء كانت تأخذ شكلًا مستطيلًا يبلغ طوله ١٥٠٠م، وعرضه ٧٥٠م، وأن المياه كانت تأتيها من أعلا الجبل في قنوات على بعد ثمانين كيلومترًا، وقد اقتضى هذا الأمر

(١) في تاريخ المغرب الأندلس، ص٢٠٥.

(٢) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٧٩، ٥٨٠، مالدونادو: العمارة، ج١، ص٥٤.

(٣) سارية: وجمعها سواري: اصطلاح شائع في بلاد المغرب للدلالة على العمود الصغير المصنوع من الرخام أو الزجاج، أو الخشب أو الجص. السيد سالم: بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مج٥، ع١، ٢، مدريد ١٩٥٧م، ص٢٤٩.

(٤) البيان المغرب، ج٢، ص٢٣١.

إلى نقب الجبل بطريقة هندسية رائعة لا تزال آثارها باقية إلى اليوم على شكل عيون في الجبل(١).

معالم مدينة الزهراء في كتابات المستشرق باسيليو بابون:

يعد جامع الزهراء من أهم معالمها، بُدئ في بنائه عام (٣٣٠-٣٣١هـ/٩٤١- ٩٤٢م)، وأسسه الخليفة عبدالرحمن الناصر، حيث عُثر في صحن الجامع على نقش كتابي يحمل اسم الخليفة السابق، وكذلك اسم المشرف على البناء، وطبقًا لنقوش كتابية على المئذنة فقد تم الانتهاء منه عام (٣٣٤-٣٣٥هـ/٩٤٥- ٩٤٦م)، أي إن عملية بنائه استغرقت خمسة أعوام(٢)، خلافًا لما جاء في النصوص العربية من أن عملية البناء استغرقت ثمانية وأربعين يومًا(٣).

تم اكتشاف الجامع من خلال أعمال الحفر التي جرت خلال الفترة من ١٩٦٤م وحتى عام ١٩٦٦م، ويُعد اكتشافه ذا أهمية كبيرة من عدة نواح:

أولًا: أن جامع الزهراء يمثل أقدم أثر ديني مزخرف في المدينة، وبالتالي فمن خلال دراسته يمكن تحديد المراحل التاريخية والأسلوبية للفن الإسلامي في مدينة الزهراء.

ثانيًا: يُعد الجامع بمثابة نقطة انتقال -بالنسبة للعمارة الدينية- بين الجامع الذي شُيد في عصر الإمارة في قرطبة وبين التوسعات التي جرت خلال حكم عبدالرحمن الناصر، والحكم المستنصر، والمنصور بن أبي عامر(٤).

---

(١) العبادي: الأندلس، ص٢٠٦.

(٢) مالدونادو: العمارة، ج١، ص١٣٩.

(٣) المقري: نفح الطيب، ج١، ص٥٦٤، رامي ربيع عبدالجواد راشد: من آثار مدينة الزهراء الأندلسية بمساجد المرابطين والموحدين المغربية، مجلة فكر، ع٢٥، مركز العبيكان للأبحاث والنشر، المملكة العربية السعودية، فبراير- يونيو ٢٠١٩م، ص٤٨،٤٩.

(٤) مالدونادو: العمارة، ج١، ص١٣٩.

كان الجامع في مخططه عبارة عن (٢٥٣,٧٤ × ٣٤,٠٣)، وهو صورة طبق الأصل للمسجد الجامع في قرطبة، يتكون من صحن يحيط به ثلاث بوائك، إضافة إلى المئذنة، والمنطقة المسقوفة (رواق القبلة) المكونة من خمسة بلاطات متعامدة على حائط القبلة الذي يتجه ناحية الجنوب الشرقي، وكانت أبواب الجامع متقابلة في كل من الصحن والجزء المسقوف، وفي الجهة الشمالية أقيمت مئذنة مربعة الشكل، طول ضلعها خمسة أمتار، تتكون من طابقين، بلغ ارتفاعها عشرين مترًا[١]، وكان المؤذن يصعد إلى الطابق الثاني لأداء الأذان[٢]، وكانت أرضيته التي بُني عليها عبارة عن شرفة اصطناعية تم إعدادها من تراب مضغوط بين الحوائط الجانبية للمبنى، كما اتصل جامع الزهراء بالقصر الخلافي من خلال دهليز أو ساباط، يدخل منه الخليفة متجهًا نحو المقصورة الخاصة به، على نحو ما كان سائدًا في جامع قرطبة[٣].

وقد ظلت أبواب الجامع مفتوحة للمصلين حتى وقوع الفتنة سنة (٤٠١هـ/١٠١٠م)؛ حيث قام البربر ورعاع قرطبة بالاستيلاء على ما في الزهراء من كنوز وثروات، كما تعرضت المدينة للحريق الذي وصلت نيرانه للجامع، وقد تم الكشف عن آثار هذا الحريق عن طريق بقايا رماد النار في مختلف نواحي المدينة، وكذلك الحصائر المحروقة المصنوعة من نبات الحلفا، ورقائق الرصاص التي نالها التلف في رواق القبلة، واستمرت عمليات السلب للمدينة

(١) ذكر المقري أن ارتفاعها أربعون ذراعًا، وعرضها عشرة أذرع في مثلها. نفح الطيب، ج١، ص٥٦٤.

(٢) مالدونادو: العمارة، ج١، ص١٤٠.

(٣) مالدونادو: العمارة، ص٥٣،٥٤.

طوال العصور الوسطى؛ حيث نهبت كتل الرخام، وبعض الكتل الحجرية سواء المزخرفة وغير المزخرفة(١).

ويذكر المهندس فيلكس إيرنانديث أن جامع الزهراء تعرض لأكبر قدر من عمليات النهب والسلب؛ حيث إن لصوص الأطلال الذين كانوا يأتون إلى المدينة من السهل يجدونه في أول طريقهم قبل الوصول إلى قصور الشرفات العليا، فانتزعت الأغلبية العظمى للكتل الحجرية من المسجد، وخاصة الموجودة في الأساس، وبذلك تم القضاء على المكان، ولم يتبق إلا القليل من القطع المزخرفة غير الصالحة لإعادة الاستخدام، وبعض تيجان الأعمدة وقواعدها، وأصبح من المستحيل القيام بعملية إعادة البناء إلى ما كان عليه(٢).

وفيما يتعلق بآثار ما تم كشفه من القصور الخلافية ومرافقها، كان من الصعب التمييز بين منشآت عبدالرحمن الناصر وابنه الحكم الثاني؛ لأن الخليفة الأخير قام في حياة والده بدور المشرف العام على أعمال البنيان، فالاستمرار في البناء تحت إشراف شخص واحد جعل من المتعذر تحديد الزمن على وجه الدقة، ما لم تكشف عنه النقوش الكتابية على بعض قطع الرخام التي عثر عليها أثناء الحفر(٣).

أما القصر الخلافي بمدينة الزهراء فكان يحيط به سور يبلغ سمكه ثلاثة أمتار، وبه بوابة رئيسة في الوسط، ودهليز ذو انحناءين، وأخذ القطاع الملكي المكون من القصر والشرفات شكلًا مربعًا التصق بالسور الشمالي للمدينة، بلغ مساحته ٩٠٠ متر، أي إنه ثلاثة أضعاف مساحة قصر قرطبة، وحَملت أشهر

(١) مالدونادو، العمارة، ج١، ص١٤١.

(٢) مالدونادو: العمارة، ج١، ص١٤١،١٤٢.

(٣) مالدونادو: العمارة، ج١، ص٥٤، سالم: قرطبة، ج٢، ص١٠.

بوابات القصر بمدينة الزهراء نفس أسماء المقر الخلافي بقرطبة، مثل باب السدة، وباب السورة [١].

وبالنسبة للصالونات التي يضمها القصر الخلافي، ذكر باسيليو أنه من الصعب تحديدها بدقة من خلال الحفائر، ومن المعتقد أن صالونات الاستقبالات الكبرى كانت ثلاثة: الأول "الصالون الشرقي" ، وهو مكون من خمسة أروقة، ويسمى اليوم دار الجند، وربما حمل اسم "دار الوزارة".

وذكر ابن الخطيب أن هذا المجلس كان عليه اثنا عشر تمثالًا من الذهب الأحمر المرصع بالدر النفيس، وأطلق عليه اسم "المؤنس"[٢]، وهو الصالون الأكبر في المدينة، ويأخذ شكلًا مستطيلًا مساحته (٥٠×٣٠م)، واتسمت أرضيته بأنها عبارة عن بلاطات مربعة من الطين المحروق، كانت تفرش بالسجاد في الاستقبالات الكبرى وخاصة في الرواق الرئيسي.

والثاني "الصالون الغربي" ويلتصق بالسور الشمال، ويواجه الصالون الشرقي، ويسمى اليوم دار الملك، كما أطلق عليه مجلس الإمارة، أو مجلس الأمير هشام[٣]؛ حيث كان يتم فيه استقبال الأمير هشام بن الحكم الثاني.

(١) مالدونادو: العمارة، ج١، ص٥٥، ص٦٢.

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص٣٩.

(٣) القصر الغربي: أو مجلس الأمير هشام: شُيد إلى جوار السور الشمالي السميك للمدينة، ولا يفصله عنه سوى ممر ضيق، أخذ هذا المجلس شكلًا مستطيلًا غير منتظم، وحليت جدرانه بالزخارف الرائعة، أما أرضيته فكانت من الرخام المحروق المكفت بقطع حجرية صغيرة بيضاء اللون مكونة شكل الفسيفساء، وأشكالًا هندسية، ويُعتقد أن هذا القصر كان ذات طبيعتان: رسمية، وغير رسمية؛ حيث أُلحق به غرف أخرى اشتملت على رواق، وحديقة أو صحن في المقدمة. مالدونادو: العمارة، ج١، ص٨٣،٨٤.

والثالث "الصالون الجنوبي" وهو الصالون الكبير[١] أو الرئيسي، ويعرف باسم صالون عبدالرحمن الثالث؛ حيث اتخذه الخليفة السابق مجلسًا له، ويطل على الحدائق في الجزء السفلي للقصر، وشكلت أرضيته من بلاطات كبيرة الحجم من الرخام تتفق مع ما عليه هذا المجلس من الأهمية، وكان حجم هذا الصالون أصغر حجمًا من الصالون الأول فكان اتساعه (٤٠×٣٠م)، وله ثلاثة أروقة رئيسية منفصلة عن بعضها بستة عقود حدوية[٢]، وتم افتتاح الصالونات الملكية عام (٣٣٤ -٣٣٦هـ/٩٤٥-٩٤٧م)[٣].

وقد أُلحق بالصالون الكبير مبنى مكون من طابقين، بلغت مساحته (٧٠٠ م٢)، يتكون هذا المبنى من غرف مربعة الشكل فُتحت على صحنين: الصحن الأول مبلط بالكامل بالرخام مقاس (٠,٩٧×٠,٦٣م)، يقع في وسطه حوض منخفض عن الأطراف بحوالي (١٥ أو ٢٠ سم)، أما الصحن الثاني: فيتسم بالبساطة، ويتصل بثلاث غرف تؤدي وظيفة المخدع، ولها جرف للمرحاض، يتصل الصحنان والغرف المربعة الشكل بدهليز مستطيل ممتد من الشرق إلى الغرب، له سبعة أبواب للمراقبة، بالإضافة إلى خمسة أبواب أخرى تفتح على الممشى الخاص بالحديقة الكبرى، وكان لهذا المبنى سلم يتصل

(١) أطلق جومث مورينو مسمى "الصالون الكبير" على هذا المكان منذ أن تم اكتشافه على يد فيليكس إيرنانديث عام ١٩٤٤م؛ حيث تم العثور داخل هذا الصالون على الكثير من القطع الزخرفية الجميلة المنحوتة من الرخام والحجر الرملي، بخلاف البساطة التي اتسمت به غيره من الصالونات. مالدونادو: العمارة، ج١، ص٧٠.

(٢) مالدونادو: العمارة، ج١، ص٦٩.

(٣) العمارة، ج١، ص٥٧،٥٨، ص٦٧.

بالحمامات التي تم إضافتها في القطاع الشرقي، وهذه الحمامات كانت عبارة عن صالة كبرى، ثم غرفة خلع الملابس، تليها غرفة التسخين(١).

وبالإضافة إلى هذا المبنى تم الكشف مؤخرًا من خلال الحفائر على مبنى آخر، ربما كان أحد ملحقات هذا الصالون، يتكون هذا المبنى من ثلاثة أروقة، تحيط به أربع برك للمياه، ويبدو أن هذا المبنى كان مخصصًا للترويح عن النفس، ويشير باسيليو إلى أن هذا الأمر مما تميز به هذا القصر؛ حيث جمع بين المبنى المخصص للوظيفة الرسمية العامة، وبين مبنى آخر، كأنه امتداد للأول؛ لقضاء وقت الفراغ، كما تميز بوجود إطار أمني يحيط بالمبنى من ثلاث جهات(٢).

وألحق بالمناطق المجاورة للمقر الخلافي بمدينة الزهراء عددًا من المباني الخدمية بلغت (١٢٥ دارًا)، وربما تصل إلى أربعمائة، كانت موزعة في محيط القصر والأرباض المحيطة به، ومن هذه المباني منزل الفتى فائق، فقد ورد أن المذكور قام بتغير مقر إقامته من الجناح الشرقي إلى منزل في الجناح الغربي، كذلك عُثر على ثلاثة عقود تحمل نقشًا عبارة عن تاريخ يرجع إلى سنة (٣٥٠-٣٥١هـ/٩٦١-٩٦٢م)، ويحمل اسم جعفر(٣) السلافي في القطاع الأرستقراطي

(١) مالدونادو: العمارة، ج١، ص٨٥،٨٦.

(٢) العمارة، ج١، ص٧٤.

(٣) ذكر مالدونادو: أن هذه الدار جرت فيها الحفائر أكثر من مرة، وأنها عبارة عن صحن رئيسي مربع مبلط بالرخام، ورواق يتم الدخول من خلاله إلى ثلاث غرف كبيرة، بالإضافة إلى صحنين داخليين أقل حجمًا، لهما غرف مستطيلة الشكل تحيط بهما، وفي الضلع الغربي لهذه الدار أُضيفت الحمامات التي تتكون من صالة كبيرة للاستقبال، وغرفة التدفئة، وغرفة التسخين، وألحق بهذه الدار مبنى للخدمة، يتكون من ست غرف مستطيلة تحيط بصحن مستطيل. العمارة، ج١، ص٨٩،٩٠.

في الجهة الغربية؛ حيث أقيمت منازل علية القوم شمال الصالون الكبير(١)، أيضًا عُثر على قصر ذي سقف مغطى بالذهب والفضة، ويُعرف حاليًا باسم "مجلس الراديال" (Radial)، كذلك عُثر على نافورتين على شكل حيوانات، إحداهما: لونها أخضر، والثانية: من الذهب، وقد جيء بهما من القسطنطينية وسوريا، بالإضافة إلى قبة ذات قبو ذهبي وفضي نُسبت للخليفة عبدالرحمن الثالث(٢).

وبالنسبة للبوابات التي خصصت للمبان فقد بلغت خمسة عشر ألف باب، صنع بعضها من الخشب المشغول، في حين أن الأبواب الأخرى كانت مزدوجة ومصفحة بالقصدير، كذلك عثر أثناء الحفائر التي جرت في الزهراء على قطع قرميد وُجدت في المنطقة المحيطة بالصالون الكبير وفي المسجد.

واستكمالًا لأعمال الحفر الأثري سنة ١٩١١م، والتي جرت بأقصى الطرف الغربي للزهراء أمكن الكشف على تاجي عمودين منقوش عليهما اسم الخليفة الحكم الثاني(٣).

ويذكر الدكتور السيد سالم أن قصور هذه المدينة تتبع نظامين: النظام الأول تأثر بنظام المساجد الذي يتمثل في صحن تحيط به جميع الغرف والقاعات، والثاني نظام القصر الذي يتألف من بلاطات أو أروقة متوازية، وتفصل بينهما صفوف من العقود القائمة على أعمدة، ويُعتقد أنه متأثر بنظام الكنائس ذات التخطيط البازيليكي(٤).

أما حدائق الزهراء فيشير باسيليو بابون إلى أنه أمكن الكشف عنها من خلال أعمال الحفر التي جرت خلال عامي (١٩٦٤م و ١٩٦٥م)، وبالتحديد

(١) مالدونادو: العمارة، ج١، ص٨٥.

(٢) مالدونادو: العمارة، ج١، ص٥٨.

(٣) مالدونادو: العمارة، ج١، ص٥٩.

(٤) قرطبة، ج٢، ص١٨.

أمام الصالون أو المجلس الكبير للمدينة، وأسفرت الحفريات عن ظهور مخطط يأخذ شكلًا متقاطعًا حيث ضم في وسطه حديقة كبيرة تحيط بها أسوار بُنيت من كتل حجرية، والحديقة مربعة الشكل تحيط بها أرصفة عريضة، يوجد على أطرافها الخارجية قنوات تجري فيها المياه تتجه نحو المركز(١).

وعلى الرغم من أن مدينة الزهراء أنشأت كمتنزه للخليفة الناصر، إلا أنها احتوت على سجن عرف بمُطبق(٢) الزهراء، والذي أصبح جزءًا رئيسًا من تخطيط المدينة، وكان من أشد وأضيق السجون التي عرفتها بلاد الأندلس، وقد خصص مطبق الزهراء لرجال السياسة والإدارة ممن تخشى الدولة خطورتهم أو هروبهم؛ لما لهم من نفوذ في الدولة وبين أفراد المجتمع(٣)، وكان هذا السجن يخضع للحراسة المشددة، وتحت إشراف الخليفة نفسه(٤).

(١) عمارة المياه، ص٢٧٢.

(٢) المُطبِق: هو السجن، لأنه أطبَق على من فيه. ابن الجوزي: تقويم اللسان، تح. عبد العزيز مطر، دار المعارف، القاهرة (ط٢: ٢٠٠٦م)، ص١٦٢.

(٣) أنيس جاسم المشهداني: مطبق مدينة الزهراء الأندلسية (٣٣٦-٣٩٩هـ/٩٤٧-١٠٠٨م) دراسة تأريخيه، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ع٧٦، جامعة بغداد، كلية الآداب، أيلول (سبتمبر)٢٠٢٠م، ص١٢١.

(٤) إبراهيم مدحت الحارث: الرهائن السياسيين في الأندلس من الفتح الإسلامي وحتى عصر ملوك الطوائف (٩٢-٤٧٩هـ/٧١١-١٠٨٦م)، دار بيلومانيا للطباعة والنشر، القاهرة (١٤٤٠هـ/٢٠١٨م)، ص١٨٢.

المبحث الخامس: جسر (قنطرة) قرطبة:

أقيمت هذه القنطرة على نهر الوادي الكبير (ملحق٧)، وترجع إلى أصول رومانية، وتقع شمالي باب قرطبة الجنوبي؛ لتصل بين المدينة المسورة وبين ربضها الجنوبي المعروف بربض شقندة، وعُرف هذا الجسر في العصر الروماني باسم "أغسطس"، وفي العصر الإسلامي والمسيحي سمي "بالطريق الأعظم، أو السكة العظمى، أو المحجة العظمى"(١).

كانت صورة الجسر في بنايته الأولى عبارة عن معبر تم تقويته بكتل حجرية وكمرات ضخمة من الخشب؛ لتسهيل عبور القوات الرومانية إلى الشاطئ الآخر للنهر، وظل قائمًا يؤدي وظيفته خلال العصر الروماني حتى أواخر دولة القوط الغربيين، إلا أنه قد تهدم قبل وصول الفتح الإسلامي إلى شبه الجزيرة الأيبيرية(٢)، فقد أشار ابن عذارى إلى: أن المسلمين بعد أن فتحوا قرطبة وجدوا بها آثار قنطرة فوق نهرها، قد تهدمت بأثر الفيضانات الكثيرة على مر العصور(٣).

ظلت قنطرة قرطبة على حالتها هذه بعد الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة حتى ولاية السمح بن مالك الخولاني الذي أعاد بناء جسر قرطبة، حيث كتب للخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧-٧١٩م) رسالة يخبره فيها أن مدينة قرطبة قد تهدمت من قطاعها الغربي، واقترح على الخليفة إعادة بناء الجسر بأحجار السور المتخرب، وتلقى السمح الموافقة، ورمم القنطرة عام (١٠١هـ/٧٢٠م)، حتى أصبحت إحدى مفاخر قرطبة(٤).

---

(١) مالدونادو: عمارة المياه، ص٨٣.

(٢) مالدونادو: عمارة المياه، ص٨٤، السيد سالم: قرطبة، ج١، ص١٩٧.

(٣) البيان، ج٢، ص٢٦.

(٤) مالدونادو: عمارة المياه، بلباس: تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص٢٣، ص٨٤، سالم: قرطبة، ج١، ص١٩٧، عنان: دولة الإسلام ، ج١، ص٢٢٨.

ويشير باسيليو بابون إلى أنه من الصعب إجراء دراسة على الجسر في الوقت الحاضر خاصة أن مبانيه شهدت عدة طبقات غطت البناء الأصلي، سواء الروماني أم الإسلامي، أم الذي يعود إلى العصور الوسطى المسيحية(١).

هذا وقد تعرض الجسر لإصلاحات عديدة؛ بسبب الفيضانات الكثيرة التي أدت إلى تآكل الأكتاف، وتسببت في إحداث تلفيات في الأساس الحجري، ومن عمليات الترميم التي تمت خلال الحقبة الإسلامية للمدينة:

- في سنة (١٦٣هـ/٧٧٩م): خلال عهد الأمير عبدالرحمن الداخل تعرضت القنطرة لفيضانات ضخمة أدت إلى تهدم بعض العقود، وتولي هشام بن عبدالرحمن الداخل مهمة ترميمها؛ نظرًا لانشغال والده.
- وفي سنة (١٧٨هـ/٧٩٤م): قام الأمير هشام الأول بإجراء إصلاحات في الجسر تمثلت في وضع دعامات للأكتاف في الجهة المواجهة لأعالي النهر، وقد أشرف الأمير بنفسه على هذه الأعمال، وأنفق عليها أموالًا كثيرة.
- وفي سنة (١٨٢-١٨٣هـ/٧٩٨-٧٩٩م): أصيبت القنطرة؛ نتيجة تعرضها لسيل عظيم؛ حيث وصلت الفيضانات إلى الربض، وبلغ السيل شقندة.
- وفي سنة (٢٨٩هـ/٩٠١م): علا منسوب المياه في نهر الوادي الكبير حتى غطت حلاقيم القنطرة، وأحدثت صدعًا في أحد العقود.
- وخلال الفترة من (٣٣١ إلى ٣٣٥هـ/٩٤٢ إلى ٩٤٦م): وقعت ثلاثة فيضانات، وبلغت المياه البرج المعروف "ببرج الأسد"، فأصابت طرف الجسر، كما أحدثت صدعًا في الرصيف، وقد قام الخليفة عبدالرحمن الناصر بإصلاحها.

(١) مالدونادو: عمارة المياه، ص٨٣.

- وفي سنة (٣٦١هـ/٩٧١م): رمم الحكم الثاني قنطرة قرطبة بعد إصابتها؛ بسبب المد الطامي لنهر قرطبة، فأمر بعمل سد بغرض تحويل مجرى النهر؛ حتى يتمكن من الكشف عن الدعائم التي أثر فيها الماء على طول الزمن، فدعم الأكتاف بالكتل الحجرية، وأوتاد الحديد، والطوب المصنوع من الخرسانة، وكان الخليفة يتولى الإشراف الكامل على هذه الأعمال؛ حيث كان قلقًا نظرًا لقرب حلول فصل الشتاء(١).
- وفي زمن الفتنة الأندلسية تعرض الجسر للإهمال والدمار، ولذا كان الاتصال بين قرطبة وربضها القبلي عن طريق مراكب أو معديات، ففي سنة (٤٣٩هـ/١٠٤٧م) كان الجسر مقطوعًا، وحدث أن توفي أحد الفقهاء القرطبيين، فحمل جثمانه على معدية ليدفن في مقابر الربض على الشاطئ(٢).

واعتبارًا من التاريخ السابق وحتى سقوط المدينة في أيدي القشتاليين ذكر باسيليو بابون أنه لا تتوافر معلومات كافية عن عمليات الترميم لهذه الجسر، رغم أنه يعد الشريان الرئيسي لحياة المدينة(٣)، ويذكر الدكتور السيد سالم أن القنطرة رممت خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر، ثم رممت في السنوات: ١٥٤٥م، ١٥٩٩م، ١٦٠٢م، ١٦٢٦م، ١٦٨٦م، ١٧٠٣م، ١٧٠٥م، ١٧٨٠م، ١٨٣٧م، ١٨٧٥م، ١٩١٢م(٤)، وما تزال هذه القنطرة قائمة حتى اليوم على نهر

(١) مالدونادو: العمارة، ج١، ص٨٤،٨٥، سالم: قرطبة، ج١، ص١٩٧،١٩٨.
(٢) مالدونادو: العمارة، ج١، ص٨٥، سالم: قرطبة، ج١، ص١٩٨.
(٣) العمارة، ج١، ص٨٥.
(٤) قرطبة، ج١، ص٢٠٠.

الوادي الكبير خلف الجامع الأموي، تحتفظ بعقودها القديمة، بالرغم مما توالى عليها من ضروب الإصلاح والتجديد(١).

رصيف قرطبة:

حرص أمراء بني أمية في الأندلس على ترميم الأرصفة الرومانية القديمة، وبناء أرصفة جديدة مثل الرصيف الذي كان يربط بين قرطبة ومدينة الزهراء، وكان طريقًا رصُفت أرضيته بالحجارة(٢).

ومن أشهر أرصفة قرطبة الرصيف الذي أمر عبدالرحمن الثاني بإقامته بين الضفة اليمنى لنهر الوادي الكبير والسور الجنوبي للمدينة، وكان عرضه يبلغ (٣٠ ذراعًا)، وتتكون أساسات الجسر من كتل حجرية ضخمة، وكذلك كتل خشبية مثبتة في الأرض لها أطراف مدببة، ومع مرور الزمن واستمرار تيار المياه كادت الأساسات تصاب بالتلف في بعض أجزائها، ولذا حرص أمراء بني أمية على إجراء إصلاحات عديدة لهذا الرصيف(٣)، وقد تهدم هذا الرصيف في سنة (١٢٣٨هـ/١٨٢٢م)، وكان له باب يسمى "بباب الحديد"(٤).

(١) عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢٢٩، هامش (١).

(٢) سالم: قرطبة، ج١، ص٢٠١.

(٣) مالدونادو: العمارة، ج١، ص٨٨.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٢، ص٧٦، سالم: قرطبة، ج١، ص٢٠٤.

الخاتمة

بعد دراسة موضوع" العمارة الأندلسية القرطبية في رؤى الاستشراق الإسباني "باسيليو بابون مالدونادو" نموذجًا، يمكن أن نجمل أهم النتائج فيما يلي:

- ❖تحتل العمارة والفنون الإسلامية بصفة عامة، والأندلسية بصفة خاصة مكانة مرموقة بين الطرز الفنية التي عرفتها الحضارة الإنسانية.
- ❖أكدت الدراسة على أن العمارة الأندلسية حظيت باهتمام حكامها، فأنشأوا المساجد، والقصور، والمدن، والحدائق البديعة، وتميزت هذه المنشآت بجمالها وبساطتها في مراحلها الأولى، ثم تطورت مع تطور فن العمارة الإسلامي، وأصبحت هذه المنشآت آية في الجمال والابداع.
- ❖إن الوجود العربي الإسلامي في الأندلس لمدة تزيد عن ثمانية قرون أثر بشكل واضح في الأنماط المختلفة للثقافة الإسبانية وفي عاداتهم وتقاليدهم.
- ❖بدأت بذور طراز الفن المعماري في الأندلس منذ عصر الإمارة الأموية (١٣٨-٣١٦/ ٧٥٥- ٩٢٨م)، ثم ما لبثت أن نضجت وازدهرت في عصر الخلافة الأموية بقرطبة (٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٨-١٠٣٠م).
- ❖إن ازدهار فن العمارة الإسلامية في الأندلس يعكس بشكل واضح مدى الرقي والتطور الحضاري الذي بلغته الحضارة الإسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية، هذا الازدهار الذي أُعجب به المستشرقون الإسبان واعتبره جزءًا لا يتجزأ من تاريخ وحضارة بلادهم.
- ❖إن مدينة قرطبة كان لها النصيب الأكبر بالمنشآت المعمارية في مختلف العهود الإسلامية، فشهدت نشاطًا عمرانيًا واسعًا، فأنشأ بها المسجد الجامع، والمدن الجديدة، والقصور الفخمة، بالإضافة إلى المنيات، والقناطر.
- ❖استفاد فن العمارة الأندلسي بفنون العمارة التي سبقته فجاء مزيجًا من الفن الروماني، والقوطي، والعربي.

❖اهتم العلماء الإسبان بدراسة فن العمارة الأندلسية بمختلف مراحل تطوره، وطرحوا العديد من القضايا المهمة لأنواع العمائر المختلفة، والتي يتعلق بعضها بالتخطيط المعماري، وأسلوب البناء، بالإضافة إلى العناصر الزخرفية.

- **التوصيات:** يجدر التأكيد في نهاية هذه الدراسة على أنه لا بد من بذل المزيد من الجهد في الأوساط العلمية المختلفة لإبراز مدى تفوق التراث الثقافي والحضاري للمسلين في الأندلس، وإظهار مدى تقدم ورقي الحضارة الإسلامية في المجالات المختلفة وبخاصة في الفنون والعمارة؛ تخليدًا لذكرى الوجود الإسلامي في الأندلس من ناحية، وإظهارًا للتقدم المعماري لتلك الحضارة من ناحية أخرى.

الملاحق

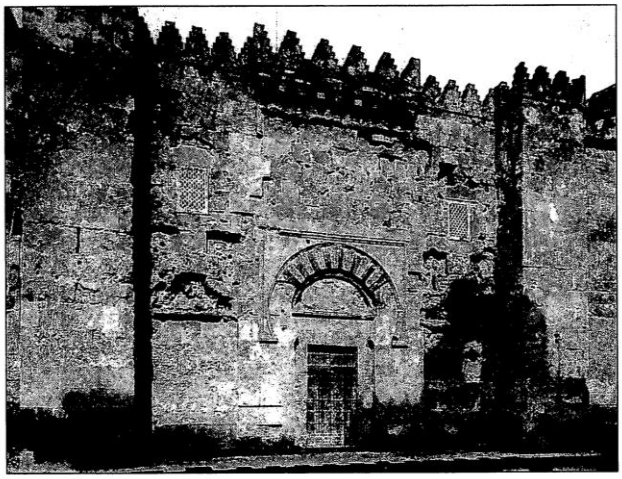

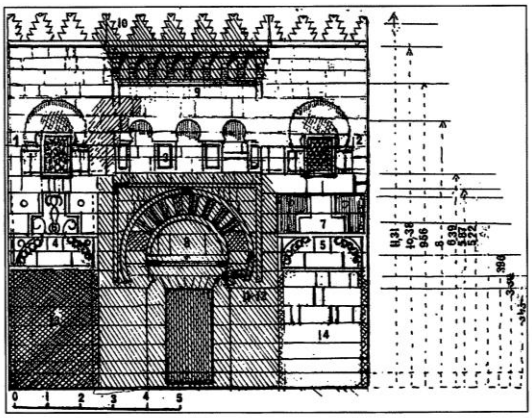

لوحة مجمعة 6:
باب سان استبان.

34

- واجهة باب سان استبان (كان معروفًا عند العرب بباب الوزراء)، ويشير باسيلو أن هذا الباب تم إقامته منذ عصر الأمير محمد الأول. (ملحق ١)

كتاب: عمارة المساجد في الأندلس- قرطبة ومساجدها_، ص٣٤.

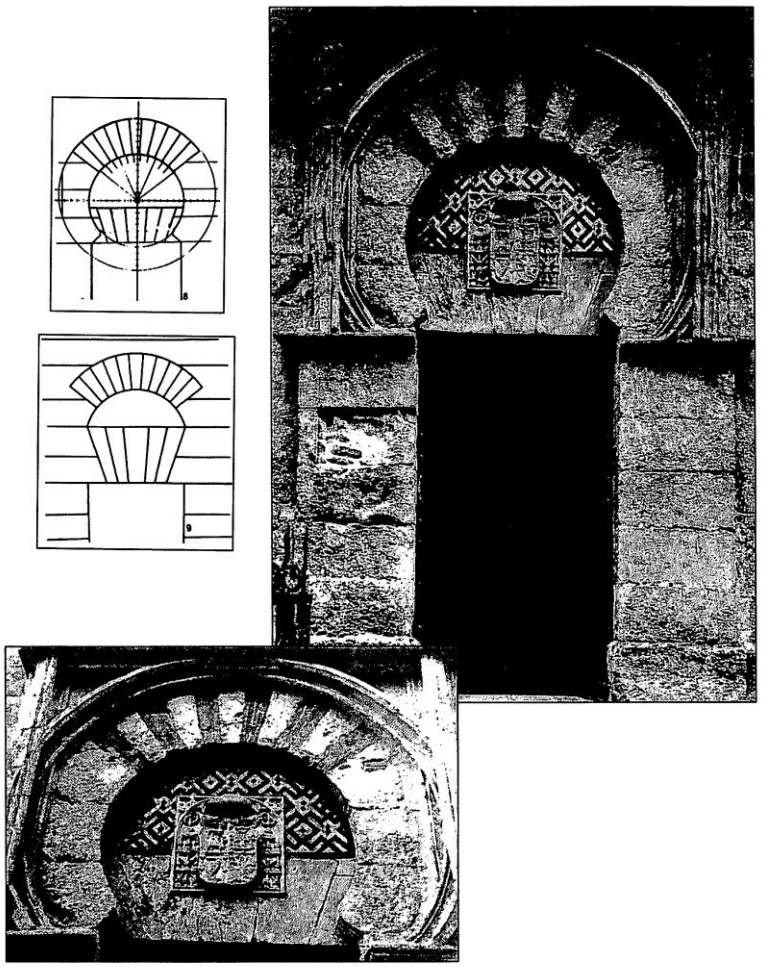

لوحة مجمعة 10:
باب سان ميجل.

38

– باب سان ميجل أقامه الأمير عبدالله بن محمد في الجهة الشرقية لجامع قرطبة. ملحق٢.

كتاب: عمارة المساجد في الأندلس– قرطبة ومساجدها_، ص٣٨.

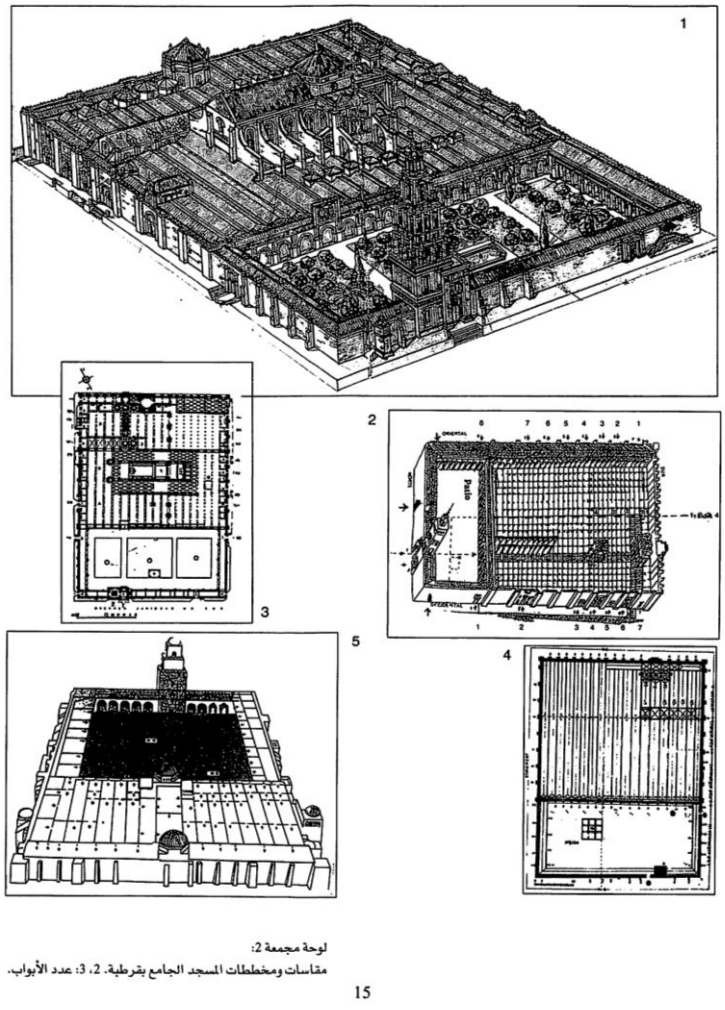

لوحة مجمعة 2:
مقاسات ومخططات المسجد الجامع بقرطبة. 2، 3: عدد الأبواب.

15

(ملحق ٣). عمارة المساجد في الأندلس– قرطبة ومساجدها، ص١٥

- توضح اللوحات شكل المسجد من الخارج مع نهاية القرن العاشر. – وجود المئذنة في القطاع الشمالي التي أضافها عبدالرحمن الثالث. – عدد أروقة المسجد والتوسيعات التي جرت فيه – صحن المسجد وفي وسطه الأشجار والميضأة.

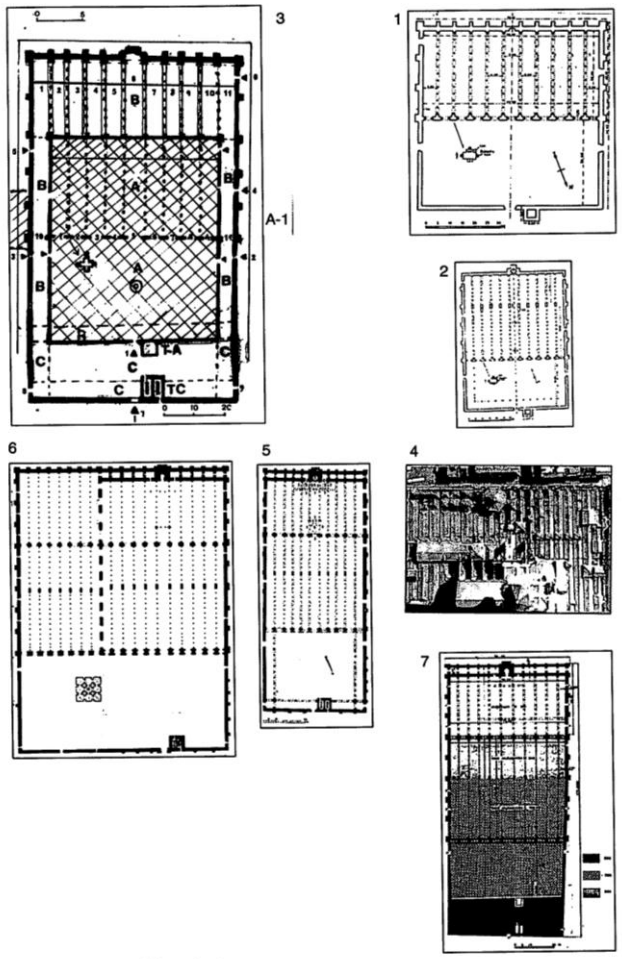

لوحة مجمعة 3:
مقاسات ومخططات المسجد الجامع بقرطبة.

16

– توضح اللوحة التوسيعات التي جرت في جامع قرطبة خلال ق٩م، والتي بدأت في عهد الأمير عبدالرحمن الثاني، ومد كافة الأروقة ناحية الجنوب لمسافة ٢٤م؛ لكي يتسع المسجد للمصلين. عمارة المساجد في الأندلس– قرطبة ومساجدها، ص١٦. (ملحق٤) والتوسيعات التي جرت في عهد عبدالرحمن الثالث، والحكم الثاني، والمنصور بن أبي عامر، حيث أضاف الأخير ثمانية أروقة جديدة للمسجد.

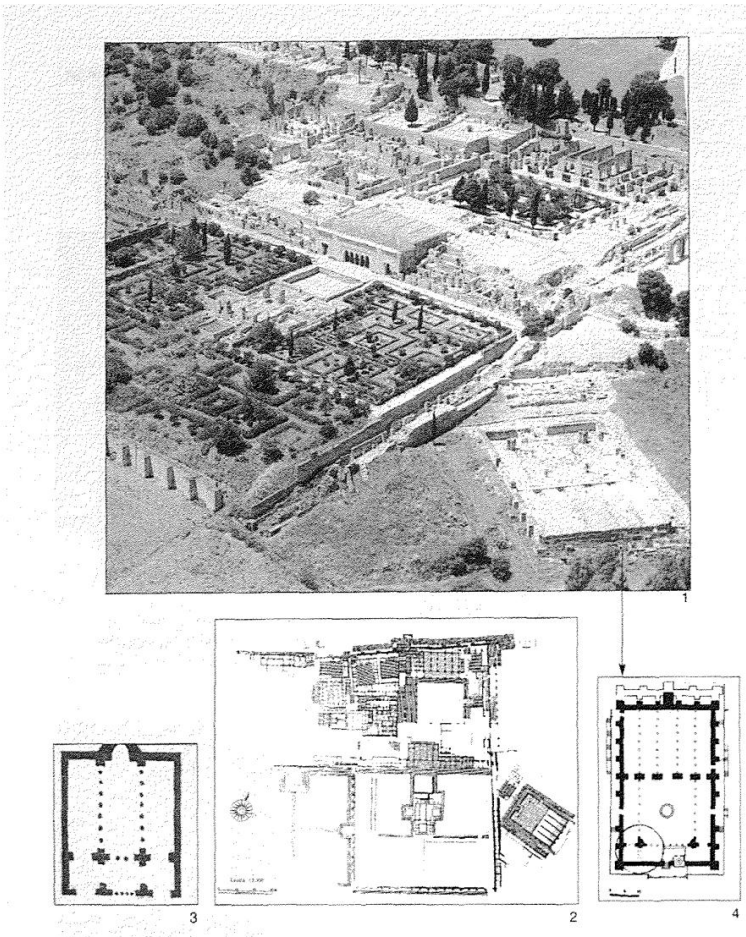

١- منظر بانورامى القطاع الذى جرت فيه الحفائر، بما فى ذلك عمليات ترميم "للأندلس"، الفنون الإسلامية فى أسبانيا الماكيت فى الزاوية الجنوبية الشرقية.
٢- مخطط مدينة الزهراء (لوبث كويربو) ٣- مخطط بازليكا بيزنطية.

165

العمارة الإسلامية في الأندلس، ج١، ص١٦٥. ملحق٥

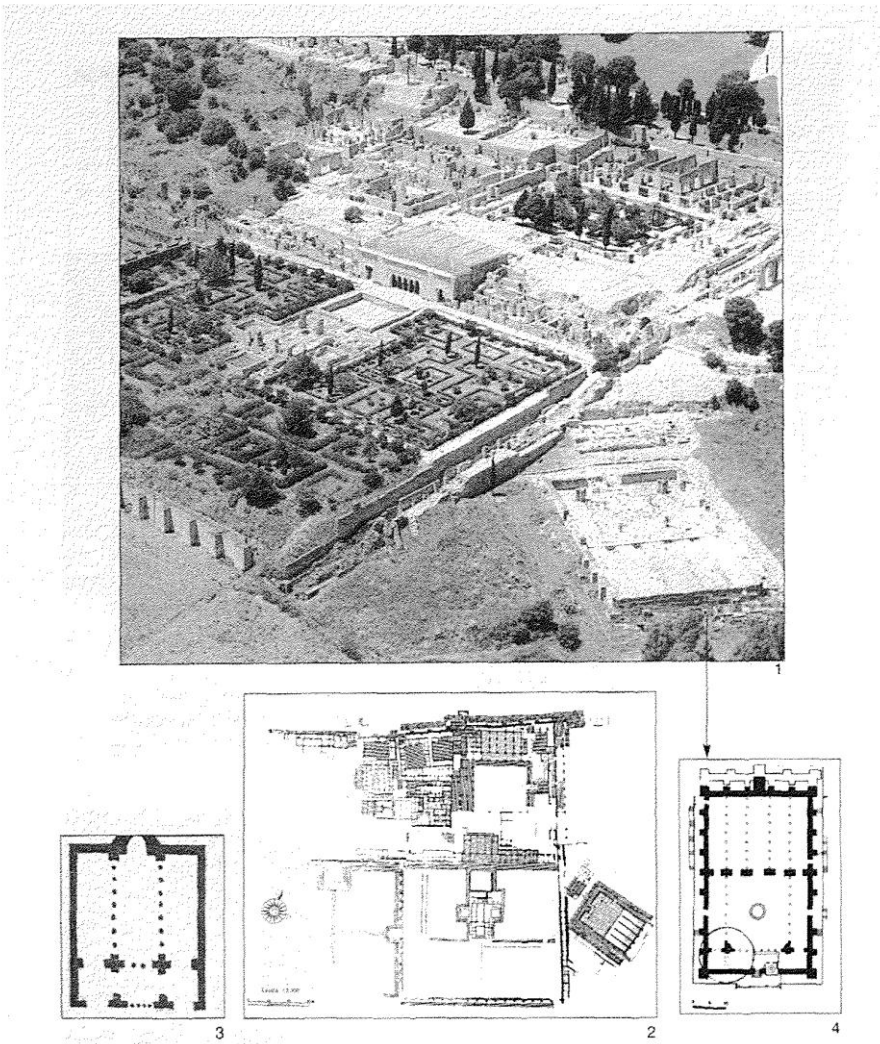

١- منظر بانورامى القطاع الذى جرت فيه الحفائر، بما فى ذلك عمليات ترميم "للأندلس"، الفنون الإسلامية فى أسبانيا الماكيت فى الزاوية الجنوبية الشرقية.
٢- مخطط مدينة الزهراء (لوبث كويربو) ٣- مخطط بازليكا بيزنطية.

165

العمارة الإسلامية في الأندلس، ج١، ص١٦٥ (ملحق٦)

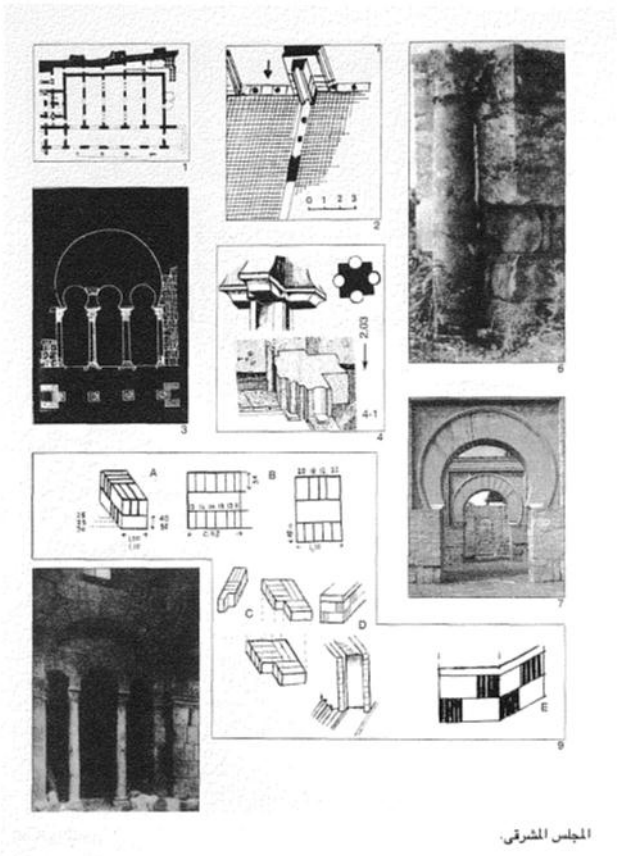

العمارة الإسلامية في الأندلس ،ج١، ص١٦٧ (ملحق٧)

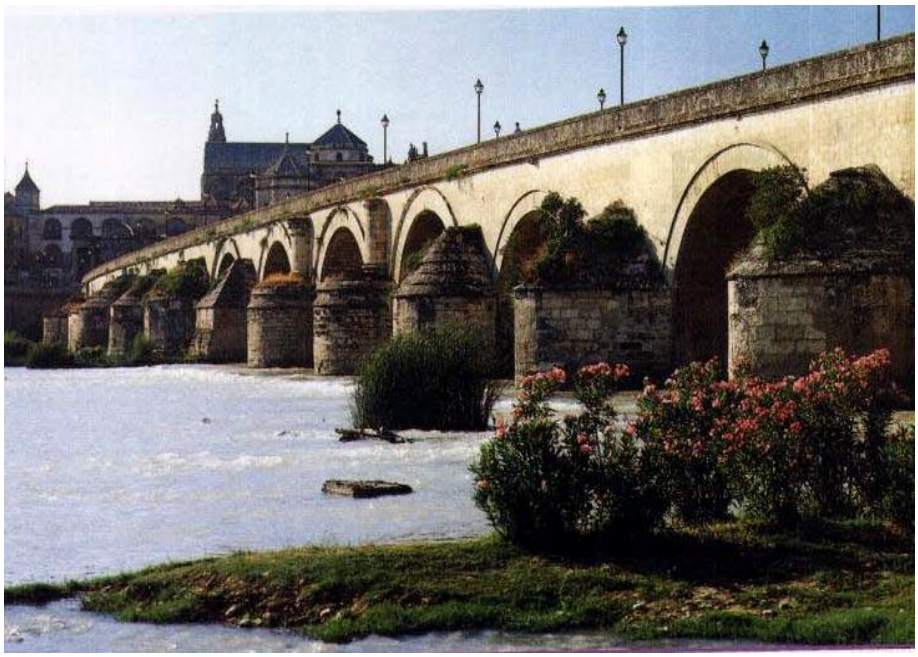

ملحق ٧ (قنطرة قرطبة على نهر الوادي الكبير)

د. طارق السويدان: أطلس تاريخ الأندلس، ص٣١.

قائمة المصادر والمراجع

❖ **أولًا: المصادر:**

- الإدريسي: محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس(ت:٥٦٠هـ/١١٦٤م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت- لبنان (ط١: ١٤٠٩هـ/١٨٩٩م).
- ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله (ت:٧٧٩هـ/١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة، المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، تح. عبدالهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م
- ابن الجوزي: عبد الرحمن بن على بن محمد أبو الفرج(ت:٥٩٧هـ/١٢٠٠م): تقويم اللسان، تحقيق: عبد العزيز مطر، دار المعارف، القاهرة (ط٢: ٢٠٠٦م).
- غريب الحديث، تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان (ط:١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ج١.
- الحميدي: أبي عبد الله محمد أبي نصر فتوح (ت: ٤٨٨هـ/١٠٩٥م): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة ١٩٦٦م.
- الحميري: محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت:٩٠٠هـ)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، تصحيح وتعليق: ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت – لبنان (ط٢: ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م).
- ابن حوقل: محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم (ت بعد ٣٦٧هـ)، صورة الأرض، دار صادر، بيروت ١٩٣٨م، ج١.
- ابن حيان: حيان بن خلف بن حسين(ت:٤٦٩هـ/١٠٧٦م): المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبدالرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت (د.ت).

- المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، الرياض، (ط: ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج٢.
- ابن الخطيب: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، لسان الدين(ت:٧٧٦هـ/١٣٧٤م): أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان (ط٢: ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م)، ج٢.
- ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحاته، دار الفكر. بيروت (ط٢: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج١.
- ابن صاحب الصلاة: عبد الملك محمد بن أحمد بن إبراهيم الباجي (ت: ٥٩٤هـ/١١٩٨م): المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان (ط٣: ١٩٨٧م).
- ابن عساكر: أبو القاسم على بن الحسن بن هبة(ت:٥٧١هـ/١١٧٥م): تاريخ دمشق، تحقيق: أبوسعيد عمر بن غرامة العموري، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة (١٤٥٠هـ/١٩٩٥م)، ج٢.
- أبو عبد الله محمد بن محمد (ت: نحو ٦٩٥هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت – لبنان (ط٣: ١٩٨٣م).
- ابن عذارى: أبو عبد الله محمد بن محمد (ت: نحو ٦٩٥هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س. كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت – لبنان (ط٣: ١٩٨٣م)، ج٢، ص٢٥، المقري: نفح الطيب، ج٢.

- ابن القوطية: أبوبكر محمد بن عمر بن عبد العزيز(ت:٣٦٧هـ/٩٧٧م): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة – دار الكتاب اللبناني، بيروت (ط٢: ٤١٠هـ/١٩٨٩م).
- المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: ١٠٤١هـ/١٦٣١م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر– بيروت – لبنان (١٣١٨هـ/١٩٠٠م)، ج٢.
- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبوعبد الله الرومي (ت:٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت – لبنان (ط٢: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ج٣.

❖ثانيًا: المراجع العربية والمعربة:

- إبراهيم مدحت الحارث: الرهائن السياسيين في الأندلس من الفتح الإسلامي وحتى عصر ملوك الطوائف (٩٢-٤٧٩هـ/٧١١-١٠٨٦م)، دار بيلومانيا للطباعة والنشر، القاهرة (١٤٤٠هـ/٢٠١٨م).
- أحمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت (د.ت).
- باسيليو بابون مالدونادو: العمارة الإسلامية في الأندلس– عمارة القصور القرن العاشر والحادي عشر– عصر الخلافة وعصر ملوك الطوائف –، ترجمة: علي إبراهيم منوفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، (ط١: ٢٠١٠م)، مج١.
- حسين مؤنس: رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود، الدار السعودية، جدة– المملكة العربية السعودية، (ط٢: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- خوان غويتسولو: في الاستشراق الإسباني، ترجمة: كاظم جهاد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان (د.ت).
- خليل إبراهيم السامرائي وآخرين: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت، لبنان (ط١: ٢٠٠٠م).

- السيد عبدالعزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (د.ت).
- المساجد والقصور في الأندلس، نشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٦م.
- عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م) دار القلم، دمشق- بيروت (د.ت).
- غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، طبع مؤسسة هنداوي، القاهر (٢٠١٢م).
- ليوبولدو تورتيس بلباس: تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (٧١١-١٠٣١م)، ترجمة: علي عبد الرؤف البمبى وآخرون، مج٢، ج٢، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، (ط١: ٢٠٠٢م).
- مانويل جومث مورينو: الفن الإسلامي في إسبانيا من الفتح الإسلامي للأندلس حتى نهاية عصر المرابطين وفنون المستعربين، ترجمة: السيد سالم، ولطفي عبد البديع، نشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية (د.ت).
- محمد حمزة الحداد: بحوث ودراسات في العمارة الإسلامية (الكتاب الأول)، دار نهضة الشرق، القاهرة، (ط١: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
- محمد عبدالله عنان: الأثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجي، القاهرة (ط٢: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).
- دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة (ط٤: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ج١.
- يحيى مراد: من قضايا الاستشراق، مطبعة فكر معاصر، المتجر الإلكتروني، (د.ت).

❖ ثالثًا: الدوريات:

- أحمد محمود دقماق: الأساليب المعمارية لتغطية المحاريب في العمارة الأندلسية- دراسة أثرية معمارية مقارنة مع افلمغرب الأقصى- مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، ع١٧، ٢٠١٦م.
- إلياس خوري: الاستشراق الإسباني: رسالة مدريد، مجلة شؤون فلسطينية، ع٧١، أكتوبر ١٩٧٧م.
- أنيس جاسم المشهداني: مطبق مدينة الزهراء الأندلسية (٣٣٦-٣٩٩هـ/٩٤٧-١٠٠٨م) دراسة تأريخيه، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، ع٧٦، جامعة بغداد، كلية الآداب، أيلول (سبتمبر)٢٠٢٠م.
- جمعة شيخة: الاستشراق الإسباني: ماله وما عليه، مجلة التنوير، ع ٨، المعهد الأعلى لأصول الدين، جامع الزيتونة، تونس ٢٠٠٦.
- خوان كارلوس (ملك إسبانيا في الفترة ١٩٧٥: ٢٠١٤): خطاب جلالة ملك إسبانيا في الحفل التأسيسي: الأندلس: مدينة الزهراء في ١٩٩٢/١١/٤م، ترجمة: جمعة شيخة، مجلة دراسات أندلسية، ع٩، تونس ١٩٩٣م.
- رامي ربيع عبدالجواد راشد: من آثار مدينة الزهراء الأندلسية بمساجد المرابطين والموحدين المغربية، مجلة فكر، ع٢٥، مركز العبيكان للأبحاث والنشر، المملكة العربية السعودية، فبراير- يونيو ٢٠١٩م.
- السيد عبد العزيز سالم: أضواء على مشكلة تأريخ بنيان المسجد الجامع بقرطبة، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، ع١٥، مدريد ١٩٧٠م.
- بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مج٥، ع١،٢، مدريد ١٩٥٧م.
- العمارة الإسلامية في الأندلس، مجلة عالم الفكر، م٨، ع١، تصدر عن وزارة الإعلام- الكويت، إبريل- مايو- يونيو ١٩٧٧م.
- عمار لبيد إبراهيم: أبرز المظاهر العمرانية في الأندلس في عصر الخلافة (٣٠٠-٤٢٢هـ)، مجلة كلية الآداب، الجامعة العراقية، ع٨، (د.ت).

- محمد عبدالواحد العسري: أصول الصورة المشوهة لمحمد (صلى الله عليه سلم) في الغرب الأوروبي ومكوناتها: قراءة في تاريخ الاستشراق الإسباني ونماذجه وامتداداته، مجلة الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها، ع٥، الرياض ٢٠١٠م.
- محمد يحي خراط: الاستشراق الإسباني، مجلة المعرفة، ع٥٦١، تصدر عن وزارة الثقافة السورية، حزيران (يونيو) ٢٠١٠م.
- محمود علي مكي: الاستشراق الإسباني، مجلة مجمع اللغة العربية، ع٨٢، القاهرة المحرم– مايو ١٩٩٨م.
- ميمون موساوي: من تجليات الهندسة المعمارية لمسجد قرطبة، المجلة الالكترونية الشاملة متعددة المعرفة لنشر الأبحاث العلمية والتربوية، ع ١٠، شباط (فبراير) ٢٠١٩م.
- فريد محمد أمعضشو: الاستشراق الإسباني والتراث العربي الإسلامي بالأندلس، ميغيل آسين بلاثيوس نموذجًا، مجلة نوافذ، ع٥١،٥٢، جدة– المملكة العربية السعودية ٢٠١٢م.
- قاسم عبد سعدون الحسيني: الأندلس في رؤى الاستشراق الإسباني المستشرق فرانسيسكو خافيير سيمونيت أنموذجًا، مجلة كلية الآداب، ع٣٤، ق٢، جامعة ذي قار، العراق ٢٠٢١م.
- أبو همام عبداللطيف عبدالحليم: الاستشراق الإسباني ونجيب محفوظ، مجلة عالم الكتاب، ع٢٥، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مارس١٩٩٠م.
- يحيى مراد: من قضايا الاستشراق، مطبعة فكر معاصر، المتجر الإلكتروني، (د. ت).